

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم اللغة العربية والأدب العربي

فاعلية التأثير في الخطاب الشعري لمحمود درويش
"دراسة تداولية"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: علوم اللغة العربية

إشراف الأستاذ
"بديار الشافعي"

إعداد الطالبة
"حسينة حجاج"

السنة الجامعية

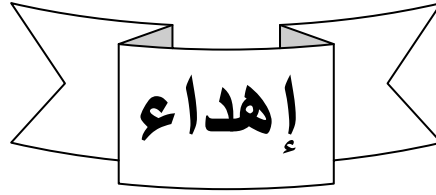
2013-2012

1434-1433

شكر وعرفان

"الحمد لله ربنا عدد خلقك وزينة عرشك ومداد كلماتك وبركة أسماءك
وعدد كل حرف كتب وسيكتب ربنا تقبل منا وتجاوز عنا إن نسئنا أو
أخطأنا"

إلى النفس الأبية التي غمرتنا بعطفها الفياض، إلى اليد الكريمة التي
أزالت الغم عنا، إلى من ضحى بالكثير من وقته من أجل إتمام الحرف
الأخير من هذه المذكرة إلى أستاذي المحترم، أستاذي الكريم
"بديار الشافعي"



أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما الرحمان

"واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً"

إلى من جعل الله الجنة تحت قدميها، والشمعة التي دأبت لتنير حياتي، والسبيل الذي ملأ
سدود كفاحي بوابل من دعواتها إلى منبع الطاقة المتجددة واليد المعطاءة "أمي الغالية"
إلى الذي علمني أن الحياة كفاح وصبر، إلى من أوصلني إلى هذا النجاح، إلى من دفع
بعجلة دربي إلى الأمام الذي أحنني بكل تواضع لأهديه هذا العمل وسام عرفان و تقدير
مني "أبي الغالي"

إلى من شاركوني بسمة الحياة إلى أعلى ما أملك وأعز ما لدي أخواتي:

حمزة ، أمينة ، بلال ، بدرة

إلى صغيري البيت إلى الكتكوتتين: "درصاف" و "هدنة"

إلى صديقاتي: سوسو ، رميسة، أمال ، بطة

إلى كل من ساندني وشاركني بسمة الحياة "إليكم أهدى ثمرة هذا العمل المتواضع"

المقدمة

بما أن النظام الكلامي هو الوسيلة التي تنتقل لنا أفكار المتكلمين وأحاسيسهم وشعورهم والتعبيرات اللغوية ما تزال الكثير من قضاياها غامضة ومجهولة، ونحن في أمس الحاجة إلى تفسيرها وتحليل ظروف النطق بها من قبل المرسل وظروف تلقيها بالنسبة للمرسل إليه لتنتقل من كونها ظاهرة فيزيولوجية تعتمد على النطق بأصوات في قوالب مألوفة إلى كونها ظاهرة تداولية تهتم بطريقة الاستجابة لهذه الأصوات. وهذا ما يدعو إلى الاهتمام بالتداولية لأجل خدمة هذا الجانب المهم في دراسة اللغة في كل مجالات الحياة الاجتماعي، والتعليمي والاقتصادي، وخاصة السياسي والحاجة إلى اكتشاف ما يواكب متطلبات هذه المجالات وكيفية تطويعها واستعمالها ومعرفة ذوات الناس التخاطبية وما تستلزمه من نقل ناجح للمعلومات التي تبرز من خلال قيمة الاستعمال اللغوي، فيركز المرسل جهده نحو بناء الخطاب ليستطيع المرسل إليه أن يستقي من المعلومات التي تثيره وتستهوئه من أجل تحقيق التواصل بينهم ليقم الناس بها علاقاتهم الاجتماعية ويحققون لأنفسهم غايات، من خلال جملة الأدوات البلاغية والآليات الخطابية المنتقاة، إضافة إلى تتبع خصائصه التعبيرية التي تمكننا من معرفة الكيفية التي يتعامل بها الملقى مع ذاته، ومع المتلقي منه من محاولة لإقناعها أو فرض سلطته عليه، مراعيًا لمقامه أو مهملًا إياه، ارتأيت أن يكون موضوع بحثي **"فاعلية التأثير في الخطاب الشعري لمحمود درويش"** وإذا اعتبرنا أن الخطاب السياسي يحتل فضاء واسعًا في العملية الحوارية التواصلية التي تستدعي الحجة أو الشهادة، والتداولية هي دراسة الآثار التي تظهر من خلال الخطاب وتتنظر في عنصر الذاتية فيه، **أفلا يحتاج الدرس التداولي إلى كذا قوالب لغوية لتطبيق مناهجه عليها؟** أو بتعبير آخر: **ما هي إمكانيات التحليل التداولي للنصوص الشعرية السياسية؟** وإذا انصب اهتمام التداولية على الأثر الناتج مباشرة على الرسالة، وكذا الشروط التي تجعل الخطاب ناجحًا كالمرسل-المتلقي-الرسالة-التأثير والتأثر-القصد ونوايا المتكلم فكيف يفسر التحليل التداولي هذه العملية الحوارية التي غالبًا ما يكون المتلقي فيها منفصلاً عن مقصود المتكلم؟ وهذا ما يقودنا إلى طرح تساؤلات عديدة منها:

***كيف ساعدت التراكم اللغوية المتكلم في إضفاء قيمة حجاجية لموضوعه؟**

* ما هي إمكانية ربط المتكلم للبنية الإخبارية والمعلوماتية بالطبقات المقامية؟

* كيف للشاعر أن يستغل السياق في إيصال أفكاره وأحاسيسه؟

* هل استطاع محمود درويش الربط بين بنية النص من حيث الاتساق والانسجام من جهة

والتداولية في استعمال اللغة من جهة أخرى؟

* هل الشاعر فعلا قد عاش التجربة فعلا أم أنها كانت مجرد إبداعات؟

وقد اعتمدت للإجابة على هذه الإشكالات المطروحة، على المنهج التحليلي التداولي في إنتاج الخطاب بوصفه مستوى تصنيفيا إجرائيا في الدراسات اللغوية، متجاوزا المستوى الدلالي باحثا في العلامات اللغوية بمؤوليتها، مما يبرر أهمية دراسة اللغة عند استعمالها. وبالتالي فإنه يعنى بدراسة مقاصد المتكلم وكيف يستطيع المرسل أن يبلغها في مستوى يتجاوز مستوى دلالة المقول الحرفي، كما يعنى المنهج التداولي بكيفية توظيف الملقى للمستويات اللغوية المختلفة في سياق معين حتى يجعل انجازه موالما لذلك السياق الذي حدث فيه. ومنها ما هو مكون ذاتي مثل مقاصد المتكلم ومعتقداته وكذلك اهتماماته ورغباته، ومنها أيضا الموضوعية أي الوقائع الخارجية مثل زمن القول ومكانه وكذلك العلاقة بين طرفي الخطاب. ولقد قسمت بحثي إلى ثلاثة أقسام رئيسية تم التمهيد لهما بمقدمة عامة وتمهيد لكل صنف على حدا عقبتهم نتائج مستخلصة من تطبيق الدراسة التداولية على أجزاء الأبيات الدكاتورية، ليتصدر المدخل جل الدراسة، فجاءت على النحو التالي:

المدخل: حيث تناولت فيه نبذة عامة عن ميلاد التداولية كجزء رئيسي ومبحث مهم وضروري في الدراسات اللسانية عند الغرب، وعند العرب أيضا ولو بمصطلحات مغايرة. لتبدأ الدراسة من جذورها الأولى، حيث تناولت في القسم الأول منها العلاقة بين طرفي الخطاب من خلال الأبعاد الناتجة عن الاستراتيجيات الخطابية، التي وظفها درويش في خطاباته من التضامنية إلى التوجيهية ثم تليهما التلميحية. أما القسم الثاني من البحث فقد لعبت فيه الأفعال الكلامية دور البطولة لتجسيد مقاصد المرسل ونواياه، فاختلفت من الإلزامية و الإيقاعية إلى التعبيرية والإخبارية والطلبية. في حين تضمن القسم الثالث أهم الوسائل التي يستعملها المخاطب من أجل إقناع الطرف الآخر بتبني مواقفه واتجاهاته، مفصلة إياه على النمط التالي:

1/الأدوات الحجاجية:

كي

لئلا

لأن

اللام

2/الآليات اللغوية:

التعارض

التكرار

التذكير

التفصيل

القصر

الأساليب البلاغية

*التشبيه

*الاستعارة

*الكناية

أما عن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في شق طريقي العلمي في هذا البحث، كانت معظمها كتب مترجمة منها "كيف ننجز الأشياء لأوستين" ترجمة عبد القادر قنيني"، اللغة والمعنى والسياق لجيفري لينتشي" ترجمة عبد الله حميدان، "الملفوظية لجان سيرفونسي" ترجمة د قاسم، أما فيما يخص المراجع فقد كان كتاب "استراتيجيات الخطاب" لعبد الهادي بن ظافر أهم مرجع لي. وعلى الرغم من ذلك فقد واجهتني صعوبات من بينها قلة المصادر العربية في هذا المجال، كون التداولية علم جديد انبثق حديثاً من اللسانيات. إضافة إلى قلة الإجراءات التطبيقية والتحليلية على الخطابات الشعرية، مما أدى إلى نوع من العسر في تطبيق مناهج هذا العلم الجديد .

المدخل

تعود كلمة التداولية في أصلها الأجنبي *pragmatique* إلى الكلمة اللاتينية *pragmaticus*، والتي يعود استعمالها إلى عام 1440 .

Masidico.dictionaire enajcopedique de la langue française.p876

و تعني المرسوم أو المنشور أو نحوه الذي يهدف إلى تسوية قضية هامة ،باقتراح الحلول العلمية والنهائية .ثم كان توظيفها في مجال العلوم البحتة لتدل على كل بحث أو اكتشاف له صفة إمكانية تطبيق عملي ،وفي وقت متأخر تسالت الكلمة إلى اللغة المستعملة في عبارات مثل: هذا تفكير عملي أو هو شخص عملي للدلالة على أن شخصا ما ميال إلى إيجاد الحلول

العلمية والواقعية لما قد يطرح من إشكال .4 **Jeam Michèle gouroard =la pragmatique** ونعني بالتداولية في الاصطلاح اللساني، دراسة اللغة في علاقاتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب و بالأفراد التي تجرى بينهم تلك العملية التواصلية.وقد اختلفت التعبيرات لتحديد المصطلح لكنها كانت تدور في حقل واحد ،فمثلا عند فرانسواز اعتبرت أن التداولية هي استعمال اللغة في الخطاب ،شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية .فهي إذا تهتم بالمعاني كالدلالية وبعض اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها. أما موشالار فقد اعتبرها علم جديد للتواصل،يسمح بوصف وتحليل وبناء إستراتيجيات التخاطب اليومي والمخصص بين المتكلمين في ظروف مختلفة .ولم تخل القضايا العربية من وضع مفهوم أو تعريف لهذا المصطلح فنجدها مثل عند صلاح فضل تعني: فرع علمي متكون من مجموعة من العلوم اللغوية ،لتي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام . "نعمان بوقره :اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها ص12 وقد ظهرت الإرهاصات الأولى للتداولية ،في أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن،بدأت كوليده للثقافة الأنجلوساكسونية =ANGLOSAXONNE وقد استقامت على سوقها في م و إنجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة.

صابر محمود حباشة الأسلوبية و التداولية مداخل تحليل الخطاب ص265-266

من جهة أخرى يمكن أن نعتبر النص الذي خلفته التوليدية بقصر الدراسة في التراكيب اللغوية على الناحية الشكلية،سبب وجيه للتفكير في تجاوز الإطار الصوري إلى إطار دلالي وتداولي.وهكذا فإن نقطة البداية يمكن أن تكون من أعمال الفلاسفة اللغوية،خاصة من خلال

محاضرات أوستين جون سنة 1950، هذا الأخير قد إستفاد من نظريات القانون الإداري كونه لا يمكن أن نفهم الفعل الإداري إلا إذا استحضرننا على الدوام باب إنجاز الفعل الإداري، ومعيار تميزه وكيفية اتخاذه، مثلاً كيفية اتخاذ قرار الحرب. والفعل الإداري يدخل تحت نظرية العقد العامة في صورتها الفلسفية .

أوستين نظرية الأفعال الكلامية العامة كيف تتجزأ الأشياء بالكلمات ترجمة عبد القادر قنيني ص6 وقد ذهب الفيلسوف الأمريكي (تشارل موريس) إلى التمييز بين علم التراكيب والتداولية، واعتبر أن الأول هو دراسة الرموز أو التعابير وعلاقتها ببعضها البعض، أما الثاني فيعني به دراسة الرموز وعلاقتها بما يشير إليه.

جيفري لينشي اللغة المعنى والسياق البراغماتية (المعنى والسياق) ترجمة عبد الله الحميدان ص 5 وشيئاً فشيئاً تحددت ماهية التداولية وأصبحت منهجاً جديداً في التحليل، بعد أن كانت تعرف بقمامة اللسانيات، وكانت تعني وقتها أن مهمة التداوليات معالجة القضايا الهامشية اللغوية التي أهملتها اللسانيات. وأما عن أهم المبادئ التي ارتكزت عليها هي: الأفعال الكلامية، الحجاج، السياق. وسنوثقها بالشرح والتفسير في الفصول القادمة .

ويجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى أن جل مبادئ التداولية الحديثة حاضرة في تراثنا العربي، ولو بمصطلحات مغايرة أو غير منضبطة أحياناً أخرى، وذلك من بداية الدرس اللغوي مع سبويه، وصولاً إلى النقاد والفلاسفة المتأخرين، فالحديث عن التداولية ليس مقتصرًا على البحث الغربي والرواد الغربيين. ومن أهم القضايا التي تناولها العرب: **1/القصديّة:** تترسخ هذه الفكرة أكثر ضمن مفهوم النظم عند الجرجاني، في الحاقة الألفاظ بالمعاني وربطها بمقصد المتكلم أو المستعملين. ومثال ذلك قوله: "إعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها الأفعال للفاعلين، من غير أن يتعرض لذكر مفعولين....."

عبد القاهر الجرجاني دلالات الإعجاز تصحيح وتعليق محمد بشير ص118

أما الجاحظ فقد اعتبر أن من شروط التواصل الناجح والهادف مراعاة المتكلم لمخاطبه، فقال في هذا الصدد: "لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السُّوق" "الجاحظ البيان والتبيين تقديم وتبويب وشرح أبو ملحم ص"95

وقال أيضا "فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي". "البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ص: 144"

ومن خلال هذا القول ينبغي على المتكلم أن ينتقي ألفاظه وينظمها وفقا لما يقتضيه مقاصده، لأن الغاية من عقد التواصل بين طرفي التداول هي التأثير، وهذا ما تهدف إليه القصدية أو ما يسميه الغربيين بتداولية الدرجة الأولى (مستوى التعبير)

2/ الأفعال الكلامية: تناولها سبويه تحت عنوان "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة" والشكل الثالث من أشكال الخروج عن المؤلف الصحيح من الكلام دعاه، الكذب الذي يقابل الأفعال الواصفة في نظرية أوستين، حيث يكون القول مخالفا لحقيقة الأمر المنقول. مثل: شربت ماء البحر، هذا النوع من الأفعال يمكن أن يكون ضمن مقولات شعرية، بحيث يؤول ويحمل على المجاز وفقا لما يسمح به الموقف، لأنه في هذه الحالة وفي هذه التراكيب تدخل قوانين المجاز لربط الدلالة المنطقية بالإحالية. "لظفي عبد البديع التركيب اللغوي للأدب ص 77 كما ذهب ابن فارس في باب "معنى الكلام" إلى تجاوز معنى الخبر والإنشاء فقال: "هي عند أهل العلم عشرة خبر، استخبار، أمر، نهى، دعاء، طلب، عرض، وتخصيص، وتمن، وتعجب". "ابن فارس الصاحبى حقه مصطفى الشويمى ص 179".

3/ المقام: إن أبرز الملامح في النظر البلاغي عند العرب، اشتراط موافقة الكلام بمقتضى الحال. و رصد على وجه التفصيل ما يكون من تأثير السياق-سياق الحال خاصة- وهي حال المتكلم والمخاطب وسائر ما يتألف منه المقام، ورصد ما يكون من تأثير ذلك في تشكيل الكلام وتأليفه على هيئات في القول وفقا لتنوع المقامات. "السكاكي مفتاح العلوم ص: 168" ولقد تحدثت العرب عن المقام منذ القدم وخير دليل على ذلك تلك العبارة المتداولة "لكل مقام مقال". ويعني بها القدماء ضرورة مطابقة الكلام لملاساته.

أولاً : العلاقة بين طرفي الخطاب

تمهيد:

إن كل خطاب من وجهة نظر التداولية قائم على جملة من العناصر الأساسية وهي:

-المرسل-

فبدونه لا يكون هناك خطاب، لأنه طرف الخطاب الأول الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهام مقاصده أو التأثير فيه. ولذلك فإنه يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المرسل إليه، بما يراعيه عند إعداد خطابه. فخطاب التاجر مع زبونه يختلف حتما عن خطاب ملك أو أمير مع رعياه. وهذا هو ما نحن بصدد دراسته كون هذا الخطاب جاء على لسان دكتاتور أو حاكم ويظهر هذا من خلال الكلمات التالية:

أنا الحاكم الحر العادل

الأمر أمري والعدل عدلي

والحق ملك يدي

موجه إلى شعبه وهو الطرف الثاني في هذه العملية أو ما يسمى ب:

-المرسل إليه -

فإليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن مقاصد المرسل. وعليه فإنه يمارس بشكل غير مباشر دورا في توجيه المرسل عند اختيار أدواته وصياغة خطابه، وذلك بحضوره العيني أو الذهني، انطلاقا من علاقته السابقة بالمرسل وموقفه منه بوصفه هو الذي يمارس عملية تفكيك الخطاب وتأويله لمعرفة ما يرمي إليه المخاطب وما يهدف له. ويظهر جنس المتلقي في كل عبارة لغوية تلفظها منها قوله :

يخيل لي أيها الشعب يا صاحبي

يا أيها الشعب يا سيد المعجزات

-السياق-

يبرز من خلال لغة الخطاب، ولمعرفته يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد. وهنا نطرح السؤال الآتي : ما هي الاستراتيجيات الخطابية التي توخاها درويش في خطابه للتأثير في الطرف الآخر؟

1/ الإستراتيجية التضامنية

هناك عاملان يؤثران على المرسل في اختيار إستراتيجية خطابه، من حيث اعتبار علاقته مع غيره وهذان العاملان هما :

*العلاقة السابقة بينه وبين المرسل إليه، والتي قد تتدرج من الحميمة إلى الانعدام التام فيسعى المرسل في هذه الحالة إلى تعريضها من خلال إيجادها بالخطاب.
*السلطة: فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطرف الآخر عندما يعلو الآخر درجة.

"عبد الهادي ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب ص: 256"

وقد يسير هذان العاملان جنباً إلى جنباً، من أجل التضامن من جهة والتهديد و التخويف من جهة أخرى، للحفاظ على الخطاب الرسمي، و ليؤكد على رغبته في إبقاء الفرق بينهما. وهذا ما حدث مع محمود درويش الذي تلبس شخصية الدكتاتور المستبد بأوامره ونواهيه، ومن ناحية أخرى الداعم المساند لشعبه في ما يعترضه من صعاب. ويظهر هذا في قوله:

فهيأ بنا أيها الكادحون وصناع تاريخنا

الحر هيا بنا

لنحرق شعر المديح وشعر الطبيعة والحب

والعبارات

وكل الروايات والأغنيات القديمة والوجع

العاطفي

وما ترك الغرب والشرق فينا من ذكريات

في هذه الأبيات صور لنا محمود الفجوة الوحيدة التي يستطيع الحاكم التنفس بعمق من خلالها لإبداء تضامنه مع شعبه، وإطلاق العنان لنفسه للتعبير عما قهره ولكن ليس للوقوف في وجه العدو لمنع كل ما يتعرض له من أشكال العنف والعدوان التي يعيشها الشعب، بل بالرجوع إلى الماضي وحرق كل ما تركه الاستعمار من مخلفات أنتجها المواطنون لوصف الحالة المزرية التي عاشها من قبلهم وما زال اللاحقون يعيشونها من خلال تأليف الأشعار والروايات والأغنيات، فالدكتاتور أراد بهذه الأبيات دعوتهم إلى التخلي عن الذكريات الأليمة التي تربي على إثرها كل فرد من الأمة الفلسطينية، ومرد هذه

الدعوة كان من أجل بناء مستقبل جديد خال من كل الأوجاع. بعدها يسترجع المخاطب حقه في الأمر وتوجيه النواميس للمأمور المطالب بالطاعة والتنفيذ كونه يتمتع بالسلطة العليا، التي تخوله لاستعمال هذه الأساليب، ويظهر هذا في قوله:

ولا تسمعوا ما يقول ملوك الطوائف عني

واني أحذركم من عذاب الحسد

ولا تدخلوا في السياسة إلا إذا صدر الأمر عني

لأن السياسة سجنني

وهي دعوة صريحة أخذت من التهديد طابع لها، ليوجهها إلى كل طامع في السياسة، مؤكداً على ضرورة بقاء الحال على طبيعته، كصاحب السلطة العليا في هذه البلاد. ومصدر هذه السلطة نابع من كونه مالك لها مسبقاً قبل التلفظ بالخطاب، أو أنه لا يمتلكها ولكنه يسعى إلى إيجادها بالخطاب، وقد نجح في ذلك من خلال توظيف النهي باستعمال أدواته الصريحة الدالة على ذلك. وهي "لا" الناهية والحجاج من خلال توظيف الأداة التعليلية "لأن" ولا شك في أن مؤشر سجنني كلمة تصك أذن السامع كونها عنواناً معلناً بأنه لا يمكن الخروج منه، وقد استعملها المخاطب باعتبار استحضارها في ذهن المتلقي من أول وهلة بصفة التقيد بالسياسة وقد اتخذ الدكتاتور هذا الأسلوب لتأزيم العلاقة بين طرفي العملية التخاطبية، أي بينه وبين شعبه، وتعميق الفارق بينهما كأمر ومأمور، إنه استيلاء كامل لكنه في خفاء.

وتظهر هذه الإستراتيجية بوضوح أكبر من خلال مجموعة من الوسائل اللغوية كمؤشر للدلالة على الاختلافات الاجتماعية التي تدل على كل من التضامن أو القوة أو كليهما، وتنقسم هذه الوسائل إلى قسمين رئيسيين هما :

***1-1-1 الأدوات:** وهي تلك الموجودة في المعجم اللغوي مثل الإشارات ومن أبرز الأدوات التي تردت في مختلف مقاطع الخطب الدكتاتورية، والتي تكشف عن خبايا الإستراتيجية التضامنية التي أراد درويش إبرازها بلسان الدكتاتور :

***1-1-1 "الإشارات":**

لقد لجأ محمود درويش بلسان الدكتاتور إلى تحويل بعض الأدوات الإشارية في السياق

الاجتماعي، وغيره من وظيفتها الدلالية للدلالة على المرجع إلى وظيفتها التداولية بانعكاسه على مؤشر قصده وتجسد هذا من خلال استعماله للضمير "نحن" للدلالة على التضامن معه والوقوف إلى جانبه في وجه العدو من أجل بناء مستقبل جدي— وهذا في قوله:

سننشئ منذ انتخابي دولتنا الفاضلة

استعاض المخاطب عن استعمال الضمير المنفصل "نحن" واستعمل بدله الضمير "ن" المتصل بالفعل المضارع ليتجاوز وظيفته المقتصرة على الدلالة النحوية على زمن الفعل، إلى الاستعمال التداولي للدلالة على مشاركته القيام بالفعل على الرغم من أن إنشاء الدولة من مهامه ولا دخل للشعب المسكين في بناءها. مما يجعل الخطاب بعيدا عن المصادقية وعن تجسيد التضامن مع فئات المجتمع الأخرى. إذ يدرك أي سامع من هؤلاء انه مستبعد من مرجع الضمير فهو إبهام منه والخطاب لا يحيل له. وهذا ما يرمي إليه محمود درويش من خلال توظيف تلك العبارات التي يستعملها الحكام في خطاباتهم للتأثير في عقول الآخرين من خلال المناورة في المعنى. ومن هذه العبارات قوله:—

سنقفز فوق المراحل عصرا وعصرين في

كل ساعة

لبنني جنة أحلامنا اليوم في نمط مجاعة

سنلغي الزراعة

وندخل الصناعة

بحزب وشعب وفكرة

ظاهر هذه الأبيات دعوة إلى التعاون ووضع اليد في اليد، من أجل النهوض من عصر المجاعة إلى عصر الصناعة والحضارة، ولكن باطنه سخرية من أفكار الأحزاب وشعاراتهم لأنها كانت ولا زالت مجرد "أفكار"، يلتمس إليها كل حاكم من أجل ترسيخ الشخصية السياسية -المحبة لهذا الوطن، وهؤلاء المواطنين الهادفة إلى تغيير وقائعه ورفعته إلى أرقى وأسمى المستويات- في عقول المستمعين من خلال محاكاة الدول المتقدمة بإدخال الثروة الصناعية في الاقتصاد العربي الفلسطيني، والتخلي عن الزراعة كونها مظهر من مظاهر التخلف، إنها استغفال منه للطرف الآخر، لأن من أولويات الشعب المستعمر

الظفر بالاستقلال أولاً ثم الطمع في محاكاة الدول الناجحة، فما نفع التقدم على حساب الحرية. ويواصل المخاطب تجسيد روح التضامن المزيف بين الحاكم ورعيته بمواجهة كل ما يعترضهم من صعاب، بتوظيف الفعل المضارع **يصمد** مقترنا بالضمير المتصل "النون" فجاء على النحو التالي:

سنصمد مهما تحرش هذا الجفاف بنا

سنصمد مهما تنكر هذا الزمن

سنصمد حتى نهاية هذا الوطن

سنصمد حتى تجف المياه... لآخر قطرة

لآخر كسرة.....

ما يحمل هذا الفعل من الناحية التداولية خاصة وهو مقترن ب نون الجماعة وسين المستقبل أكبر بكثير من قيمته النحوية وحتى الدلالية، فهو مؤشر دال بوضوح تام على أسمى القيم المعنوية وهي قيمة التعاون بينه وبين شعبه، للوقوف في وجه الأزمات الطبيعية معبرا عنها بلفظ "الجفاف" فهي دعوة إلى تجنب الاستسلام مهما سعى العدو إلى ذلك من سلسلة الجرائم وأنواع العذاب الذي يتعرضون له. كما لم تخل دعوته إلى السلم من استعمال هذه الأدوات اللغوية حيث تظهر في قوله:

يا أيها الشعب أن لنا أن نصح تاريخنا

كي نضاهي الحضارات قولا وفعلا

وان لنا أن نلقن أعداءنا درسا في السلم

تضمن كلام المخاطب من خلال هذه الأبيات ومن خلال توظيفه للأداة البلاغية "لنا" عن موقف الشعب الداعم له في فكرة الجرح للسلم، والتخلي عن الوطن، فهي مؤشر لضرب القلوب والأذان المصغية وطمس العيون، بربط الجرح إلى الاستسلام بمضاهاة الحضارات. إذن ومن خلال ما سبق نستنتج أن الحديث عن استعمال الضمير "نحن" أو ما يجاريه في معناه من منطلق تتبعه في عالم القصيدة الإبداعي المتميز قد حمل وظيفتين تداوليتين: الأولى- للدلالة على التضامن إذا كان بلسان الدكتاتور، لأن هدفه من التلفظ بكل تلك العبارات ترسيخ مبدأ التعاون الذي يبدأ من الحاكم، ليحتضنه الشعب في فعله ويتبناه ليحمله من

نفسه مشاركا لهم في كل مظاهر المرارة والقسوة والعذاب وهذا أدعى للتأثير. —
والثانية- بوصفها علامة على المناورة أكثر من كونه علامة على التضامن، وهذا من
وجهة نظر محمود درويش لأنه في صدد فضح للوقائع السياسية التي تحدث في أراضيه.

1-2-1: الآليات اللغوية

وهي ذلك الشكل الخطابي الذي يختاره المرسل لينتج خطابا من خلاله منها:

*1-2-1: المكاشفة:

هي عنصر أساسي من عناصر التضامن أو دليلا على القرب، ويتفاوت الناس من اطلاع
الغير على الأشياء العامة، إلى كشف أدق الخصوصيات، في حين قد يخفي المرسل من بعض
خصوصياته مع الآخرين فلا يكشفهم. "إستراتيجيات الخطاب ص: 302"
. ولأن محمود أراد من هذا الخطاب عرض الصورة المزيفة التي تلبس بها الحاكم، فقد
تعددت هذه الآلية العديد من الأبيات الخطابية نذكر منها قوله :

ولأعترف

أمامك أيها الشعبيا شعبي

المنتقي بيدي

باني أنا الحاكم العادل

....كرهت جميع الطغاة

لان الطغاة يسوسون شعبا من الجهلة

في هذه الأبيات المخاطب يتقدم خطوة كبيرة لإبراز ما يمتلكه من غضب وكره
اتجاه العدو، بكشفه عن الخبايا النفسية التي تغمره بسبب ما خلفه الاستعمار من جهل وأممية
من خلال الفعل "اعترف" الذي حمل قوة تداولية تمثلت في المكاشفة لتعميق العلاقة بينهما،
فالدكتاتور من خلال هذه الآلية أراد أن يبرز للشعب تضامنه وإياه عن طريق إبداء رأيه
الرافض لما سواه المستعمر في أفراد، ليرسخ شخصيته المتسمة بالبساطة مراعاة
لأقدار السامعين، بل إن التعبير بها يوحي بمخاطبة جانب البراءة في المتلقين حتى لكانهم
أطفالا يراعى مستوى الإدراك لديهم أو لا اشتراكه معهم في الغفلة . كما لم تخل هذه الآلية

أبياته في حديثه عن النساء وحول كيفية التغلب أو التفوق على فطنتهن وذكائهن، بالكشف عن القرار الذي سيخذه ليبعد فكرة الخيانة من ذهنه، وبذلك يضمن لسلالته كرسي العرش. وتمثل هذا القرار المحجف في حق شعبه ونسائه..... تنتهم في قوله :

وقد تسالون كيف اتخذ هذا القرار

أقول سأعلن حرباً لمدة عام

تكون النساء عليكم حرام

وابعث غلمان قصري.... وهم عاجزون إلى

ليأتوا إلي بكل فتاة وبنت

لقد كانت بداية هذا المقطع كطرح لإشكال كبير وهو في الحقيقة إشكالان أولهما كيفية التغلب على الخيانة التي تتسم بها النساء، والإشكال الثاني يدور حول كيفية التأكد من إنجاب ابن من صلبه لضمان تواصل الحكم على يد أبنائه وأحفاده... ليتوصل إلى حد لا يمتد للواقع بصلة، والمتمثل في تحريم النساء على الجنس الآخر إلا بالنسبة له فهو حلال وهذا دليل على استعصاء التغلب عليهن . كما كشف المخاطب بلسان الدكتاتور عن شخصية الأمير المحبة للسلم الداعية له في قوله:

يقولون ماذا عن السلم ماذا يريد الأمير ؟

أقول : أريد من السلم ما لا فضيحة فيه

أغازله دون أن اشتبهه

وابنيه سرا واحرسه بالحروب الصغيرة

....كي يتقيني العدو واتقيه

أما بالنسبة لدرويش فصورة الأمير تعاكس تماما ما أراد أن يريها لشعبه كشخصية هادفة للسلم، لتتسم بصورة الضعف والخوف التي لا طالما لازمت كل سياسي، فجنبه يحتم عليه العيش مع العدو حتى وإن استولى على أراضيه، المهم أن يجتنب الحروب والتضحية بالأنفس بغية تحرير بلاده من الكلاب المسعورة. وتبرز هذه الصورة أكثر في قوله:

تقولون ماذا يريد الأمير من الحرب ؟

ماذا يريد الأمير المحارب ؟

أقول : أريد حروبا صغيرة

سأختار شعبا صغيرا أحاربه كي

أحارب

وفي سياق الحديث عن مطامع العدو والأبعاد الاستعمارية التي يهدف لها، فإن محمود كشف لنا عن كل ما يرمي إليه اليهود من سياسة الاستيطان، لأنه في حالة فضح للجبهة الصهيونية وما ترصد له في الأراضي الفلسطينية، ويظهر هذا في قوله:

ماذا يريدون؟ كل فلسطين

أهلا وسهلا

يريدون أطراف سيناء أهلا وسهلا

يريدون رأس أبي الهول ... هذا المراوغ في

الوقت ... أهلا وسهلا

.... يريدون مرتفعات الهجوم على الشام

أهلا و سهلا

هذه الأبيات على عكس ما تظهره تماما كعبارات داعمة لفكرة السلم، والعيش بسلام لأن ما تضمه أشع بكثير، كونها تدل على سمتي الجبن والرضوخ اللذان يلازمان كل حاكم أو أمير. فأبي سلم هذا الذي يحتم علينا التخلي عن أراضينا، وأي سلم هذا الذي يفرض علينا عدم التحرك والوقوف مستسلمين أمام كل مطامع إسرائيل، إنه استيلاء بالكامل وأخذ ما ليس للأخذ فيه حق، لكنه اتخذ من السلم وسيلة لتغطية كل ما هو عليه من قذارة الروح وضعف الإيمان وغياب ما تحمله الشجاعة من معان في قاموسه اللغوي. وقد كان للاستفهام دورا كبيرا في إبراز هذه الآلية، لأن المخاطب أجاب عن الإشكال المطروح في بداية هذا المقطع، والذي كان يدور حول مرامي العدو من الاستيطان، مستعملا بذلك مؤشر له من الناحية التداولية معان أكبر بكثير من نواحيه النحوية والدلالية، وهو مؤشر "كل" ليدل أن العدو رافض لتقاسم الأراضي الفلسطينية مع أبنائها، على الرغم من أحقيتهم فيها، وكيف لابن هذا البلد الذي تربى بين أحضانه في بره وبحره ولاطفه هواءه ونسيمه وعاشر أفراده أن يتخلى عنه ويسمح بتجزئته وتشاطره مع من ليس له حق في لمس حتى ترابه؟ إنه

الجانب البذوي الذي يتصف به السادة السياسيين، الجانب الموحش الذي يسيطر عليهم إنها الروح الخاوية من الحماسة، من حب الوطن والتضحية بأغلى ما يمتلك من أجل رؤية علمها يرفرف في السماء، هذا ما أراد المخاطب محمود درويش توصيله إلى كل قارئ أو سامع لهذا المقطع الذي تجسدت فيه أبشع الصور اللاإنسانية ، من أجل أن يفتح العيون لكي لا تطمس بالكلمات والألفاظ والعبارات التي يلقوها السياسي في خطابه أمام حشد من الحضور، لأن هم إخراجها صحيحة من الناحية النحوية أكبر من هم تنفيذ ما تحمله من دلالات.

*1-2-2 الإعجاب:

هذه الآلية من الناحية التداولية تستعمل لإبداء الإعجاب على خلاف المعهود من حيث :

- 1- أن المرسل قد يستعملها في الغالب مع المخاطب
 - 2- أنه قد لا يوجد إبهام في الأمر، بقدر ما يوجد بقدر ما يوجد رغبة لدى المرسل في إظهار التضامن مع المرسل إليه.
 - 3- أنه يمكن استعمالها مع المرسل إليه في الذهن . "استراتيجية الخطاب ص 306"
- ولقد وجه درويش جل عباراته الإعجابية إلى شعبه للتلاعب بمشاعره واستمالة عقله، لكسب عطفه وحنانه وأصواته بالطبع . ومرد اختيار هذه الآلية هو التعبير عن التضامن وافتراس المرسل انه يتوقع إعجاب المرسل إليه من خلال إطلاق مجموعة من الصفات التي أضافت إلى نحوها ودلالاتها كصفة تابعة للموصوف معيارا آخر تمثل في التضامن و هو معيار تداولي بحث . ومن هذا المنطلق تعددت الكثير من الصفات ، من الشجاعة في قوله :

قفوا يا أيها الناس يا أيها " المنتقمون "

لقد اتخذت هذه الصفة منحى تداولي تمثل في إبداء روح التضامن معهم ، من خلال إبراز إعجابه به، لأن من يطلق عليه هذه الصفة -صفة الانتقام- يفترض به أن يكون أهلا لذلك . وذلك عن طريق حمل العديد من الصفات أهمها الشجاعة والقدرة على الأخذ بالثأر وتذويق الآخر ما عاناه من ظلم وبطش وحرمان وعذاب أضعافا مضاعفة ، إلى إدراج سمة الصبر في ميزاته وهذا في قوله:

سلام عليكم إلى مطلع الفجر أيها " الصابرون "

فالصبر سمة المؤمنين الصالحين، والشعب الفلسطيني أحق بامتلاكها والتلبس بمعانيها، فهي أرقى ما يمكن أن يتصف به، والدكتاتور على علم بذلك لأنه رغم سياسة الزيف التي أراد أن يطبقها على شعبه إلا أنه لن يستطيع أن يمحي من وجدانه وعقله وتفكيره ما عاناه أفراد أمته، الذين لم يستسلموا ولن يستسلموا بل سيظل إيمانهم بربهم قائماً، ولن ينحني وستظل أعينهم منصبة على هدفه، وهو تحقيق السلام عاجلاً أم آجلاً. كما توصل به التلاعب بالألفاظ إلى تجسيد صورة الأمومة في قوله:

دعني وشعبي " الولد "

هذه الصورة تحمل من القيم الخلقية و الإنسانية ما لا يمكن لأي حاكم تجسيدها مع شعبه لها من العطف والحنان والحب والود والسهر والعناء والتضحية ما لا يتسع في قلبه، فهذه العبارة تحمل الصحة فقط من الجانب الشكلي لا غير. فلا مكان في قلب أي دكتاتور لحمل ولو ذرة واحدة من هذه المشاعر، لأن الأم لن ترضى بتسليم ابنها للعدو يفعل فيه ما يشاء، ولن تنام وهي مطمئنة البال وابنها يعاني الأمرين ولن تضحى به في سبيل عيش هنيء بل تضحى بنفسها لضمان راحة باله. كل هذا لم ولن يحدث مع هكذا حاكم، فهذه الصورة مزيفة أدرجها محمود في خطابه ليلعن كل من يقارن نفسه بالأم ويتلبس بشخصيتها. وصورة الأخوة في قوله:

أترضى " أخي " الشعب "

لقد أقام الشاعر هذه القصيدة على مخطط واقعي ذو صبغة تجريدية لها مقابلاتها الواقعية، من تجسيد لصورة الأمومة إلى تجسيد لصورة الأخوة، وما قيل عن الأم وابنها يقال عن الأخ وأخوه، فكونهما خرجا من بطن واحدة، المفروض أن يتعاونوا في السراء والضراء، وأن يقفوا إلى جانب بعضهما البعض لوضع حد للفسخ الاستيطاني لا أن يوقع أحدهما الآخر فيه. وصورة الصحبة في قوله:

يخيل لي أيها لشعب يا " صاحبي "

يقال أن الصديق وقت الضيق، فهل كان الدكتاتور حقا على ما تحمله الصداقة من معنى، أم كان ذلك مجرد تصوير لفظي لا غير من أجل التلاعب بأحاسيسه فقط، لأن صاحب الوفي يقف مع صاحبه في أوقات الشدة، ولا يتركه يعاني بمفرده فلا يأكل حتى يشبع صاحبه، ولا

ينام في هدوء واطمئنان، في حين تمتلك مشاعر الخوف والهلع صديقه. كما تعددت صفة الحرية في الكثير من الأبيات نذكر منها قوله:

يا شعب ... يا شعبي " الحر "

وانتم جماهيري " الحرة " العادلة

هذه الصفة التي لا طالما تردت في أبيات القصيدة، ووظفها الشاعر فقط من أجل أن ترن في أذن السامعين، كونه على يقين بأنهم في أمس الحاجة إليها. وهذا ليظهر تضامنه الزائف معهم، كمهادف إلى تحقيق هذه الصفة على أرض الواقع، ورام لها ومبتغ للعيش في ما تحمله من لذة وحلاوة. إلا أن الدكتاتور لم يكتف بألية الإعجاب لإبراز تضامنه مع شعبه، فانتقل إلى "تأنيب ذاته" أمام المرسل إليه، لكسب محبته والشفقة عليه مثلما استعمله في هذا الخطاب :

وحيدا أنا أيها الشعب . اعمل وحدي

ووحدي أسن القوانين

أفكر وحدي أقرر وحدي . فما من وزارة

تساعدني على إدارة أسراركم

أما من ناحية محمود درويش فقد أراد بهذه الأبيات الوقوف على واقع الحكام والسياسيين، وعلى جل اهتماماتهم التافهة بقدر تفاهة عقولهم والمتمثلة في الصور والكاميرا واختيار الثياب وتصفيف الشعر. والسؤال هنا يطرح نفسه – أينبغي بدكتاتور لبلد يعاني من السلطة الاستعمارية موكل بحماية شعبه من هذا الاستيطان الوقوف عند كذا أمــــــــــــــــور؟

وخلاصة الأمر، ومن خلال تطبيق معايير هذه الإستراتيجية في الخطاب والاعتداد بها عند التلفظ به نتج عنها بعدان تأثيريان:

"أولاً" بين الدكتاتور وشعبه:

- وهي قضية مزيفة أراد محمود درويش تصويرها - أي تصوير العلاقة بين المتأمل بمستقبل واعد بعيد عن الظلم وبين الرامي إلى تحقيق أهدافه النفعية ولو على حساب الطرف الأول.

- تحسين صورة الدكتاتور أمام رعيته، كونه كان معروفاً بالشدة في آراءه والسلطة في تعامله والإجحاف في قراراته.

- إبراز روح التضامن بينهما، بتقليص دور السلطة وإدخاله في حل معظم قراراته والأخذ بأراءه واستمالة عقولهم.

"ثانياً" بين درويش والقارئ لخطاباته:

- كوسيلة للكشف عن الخبايا وراء كل سياسي، وعن الأهداف الرئيسية التي يسعى إلى تحقيقها.

- كسب ولائهم لجعلهم يؤمنون بصواب القرارات التي اتخذها.

- إبراز العديد من الجوانب في شخصية الأمراء والحكام، التي تتخذ من السلم وسياسة لتغطية سمة الجبن والفقدان لروح الوطنية.

- استمالة عقولهم من خلال سياسة الزيف والوعود الكاذبة.

- ترك مصالح الشعب على جنب، وإعطاء الأولوية لمصالحهم والحرص على استمرار الحكم من صلب سلالتهم.

2/ الإستراتيجية التوجيهية

هناك سياقات لا تناسبها الخطابات المرنة التي تمنح الأولوية لمبدأ التهذيب وعوامل التخلق لأن المرسل قد يود بشكل أو بآخر أن يفرض قيوداً على المرسل إليه، وإن كان القيد بسيطاً أو أن يمارس فضولاً خطابياً عليه أو توجيهه لمصلحته بنفعه من جهة وبإبعاد الضرر عنه من جهة أخرى، وذلك باستعمال بعض الأساليب والأدوات اللغوية وتنقسم أصناف المرسل إليه عند استعمال هذه الإستراتيجية إلى صنفين :

***المرسل إليه "المتخيل"** بما له من صورة نمطية معينة في السياق، مما يؤكد عدم حضوره العيني في السياق.

***المرسل إليه "الحاضر"** لحظة التلفظ بالخطاب فيكون معروفاً عند المرسل معرفة جيدة. فالأول انطلاقاً من خصائصه المعروفة مسبقاً عند قراءته، ولهذا فإن السمة الغالبة فيه أن يكون خطاباً مكتوباً، والثاني وهو سياق أضيّق من السابق بكثير، إذ تدخل فيه سمات الفرد الشخصية والمعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب. "استراتيجيات الخطاب ص 323"

2-1 الوسائل اللغوية في الإستراتيجية التوجيهية:

***2-1-1-1 الأمر** : وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالإلزام أن ينظر الأمر إلى نفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أو لا. "د عبد العزيز عتيق في البلاغة العربية علم المعاني ص: 75". ومن الناحية التداولية لا بد أن تتواكب الصيغة بسلطة الأمر، وإلا خرج الأمر عن معناه وعن دلالاته على قصد المرسل في التوجيه إلى مقاصد أخرى.

2-1-1-2 "صيغه":

فعل الأمر: ليوجه بذلك خطابه إلى المرسل إليه العيني أو الذهني مباشرة مثال ذلك قوله:

سيروا إلى خدمتي آمين

في هذا البيت استعمل الصيغة المعروفة للأمر لأن الخطاب يتضمن تعليمات هامة جداً تمثلت في توفير الأمن للشعب الذي هو بأمس الحاجة إليه لكن السؤال الذي يطرحه كل

من وجه إليه الخطاب هل وفر الأمن من يدعونا إلى السير بأمان في بلد يعاني في كل يوم، في كل ساعة ودقيقة وثانية في كل جزء من ترابه خطر الدمـــــار ؟
ألفاظ مخصوصة للوجوب مثل: (يجب- ينبغي- لابد...) وقد وظفها المخاطب في قوله:

ومن واجب الشعب أن يلحس العتبة

ومن واجب الشعب أن يتحرى الحقيقة ممن

دعاه إليه

ربط محمود بلسان الدكتاتور لفظ الوجوب بهذه الأفعال، من أجل التأكيد على ضرورة القيام بها باستعمال الصيغة اللفظية "من واجب" لتدل من الناحية التداولية على ضرورة التقيد بها، باعتبارها كنواميس موجهة من أمر إلى مأمور. وما خوله لإطلاق هذه الأوامر ما يتمتع به من سلطة لتجعل من يمتلكها مسيطر على من وجهت إليه هذه القوانين والمطالب بتنفيذ حذافيرها وهو الشعب.

صيغ الإخبار: كقوله:

يا أيها الشعب يا سيد المعجزات

أريدك أن ترتفع

إلى مستوى العصر

لتمتعه بالسلطة، استعمل المخاطب الأسلوب الخبري لإنجاز فعل التوجيه، حيث أدى بذلك دور التقليل من المجازفة، في استعمال هذه الإستراتيجية في إلقاء الأوامر على شعبه، وهذا لخلع ثوب التسلط والجبروت وارتداء ثوب البساطة حتى في توجيه النواميس، ليظهر بذلك شخصيته المحبة الهادفة إلى رفع مستوى بلاده إلى أسنى مظاهر الرقي. وهذا من خلال الفعل الإخباري "أريدك"، الذي أدى دور التقليل من ما حمله الفعل الأمري من قوة وتسلط.
الفعل المضارع المسبوق باللام: في قوله:

نسمع صوت خطانا على الأرض

لنبني جنة أحلامنا اليوم

تكررت هذه الأداة مع الفعلين "نسمع"، "نبني"، من أجل التأكيد على هذه المطالب فقي

البيت الأول يدعو الشاعر بلسان الدكتاتور، سماع صوت خطاه على الأرض، ويقصد به الوقوف عند مقدرته المحدودة أمام العدو وعجزه على التغلب عليه، أما في البيت الثاني يدعو لبناء جنة أحلام ليس على أرض الواقع وإنما في مخيلته فقط، لأنه غير قادر أو بالأحرى عاجز على تحقيقها وتجريدها من طابع الأحلام إلى طابع الواقعية.

***2-1-2 النهي:** من أنواع الإنشاء الطلبي "النهي" وهو طلب الكف عن الفعل أو الإمناع عنه على وجه الاستعلاء والالزام. "في البلاغة العربية" علم المعاني "ص: 82"

وهو لا يختلف في ذلك عن الأمر، وهذا ما يشهد به أكثر من عالم ومنهم المبرد في قوله "واعلم أن الطلب من النهي بمنزلة الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر".

صيغته:

الحرف الجازم "لا" الذي يسبق الفعل المضارع: من أمثلة النهي باستعمال هذا الحرف قوله:

و لا تنشئوا أي حزب هناك

معكم

ولا تأذنوا لقدامى الضحايا بان يسكنوا

معكم

ولا تفتحوا صحفا للحديث عن الفرق بين

الحياة

على الأرض أو تحتها

يعد استعمال النهي بهذه الصيغة دليلاً صريحاً على حرص الدكتاتور أن يبلغ قصده التوجيهي لشعبه، والمتمثل في ضرورة استلام العرش بعد الممات، وهي صورة الاستغلال والتهكم التي أراد محمود أن يوصلها لنا. فقد توصل به الأمر إلى دعوة الأفراد إلى الابتعاد عن الضحايا الذين يعانون مما خلفه الاستعمار من أعمال وحشية، من أجل تجنب ظاهرة الانتقام التي تولدت في قلوبهم، لمحو كل الذكريات المرة التي عاشوها وهذا لبناء مستقبل لم يطبع فيه ما دمره العدوان، كما لم تمنعه حشريته من التدخل في حياته الدينية، وتبرز هذه الظاهرة من خلال استعمال أسلوب النهي، لدعوته إلى عدم التطلع في الصحف لأنها تفرق بين العيش فوق الأرض وتحتها لأن آخرتها حساب وعقاب. وقد يستعمل

المرسل "لا" الناهية مع نون التوكيد في الفعل المضارع، وذلك مثل هذا المقطع :

فلا تسرفن في الكلام لئلا تبدد سلطة هذا

.....الكلام

ولا تدخلن في الكناية كي لا نضل الطريق

ولا تقربين الشعر ، فالشعر يهدم صرح

الثوابت في وطن من وئام

استعمل الصيغة السابقة مع زيادة نون التوكيد، وذلك مؤشر تداولي على أن النهي هنا يعلو النهي في الخطاب السابق درجة لأن فيه تأكيد، من أجل إسكات الشعب وحرمانه حتى من التعبير عما يختلج صدره. وفي هذا نجد أن النهي طبقات بناء على السياق التداولي وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من قوة وضعف وكذلك أهمية الأمر المنهي عنه. فالكلام هو الوسيلة الوحيدة التي بقيت للشعب الفلسطيني للتخفيف عن الأمامه. كما أن هناك ألفاظ معجمية استعملها المرسل للنهي وتسمى "ألفاظ النهي" وهي الألفاظ التي تدل على النهي عند إطلاقها، وهي مادة: (حرم- حظر- منع- نهى.....) وهذا في قوله:

فلا حق في دولتي للتجمع

حيا وميتا

لئلا يثير الفساد

ولا حق للموت أن يتمادى

ويقضم نسياننا الحر

... منا

فكلمة "لا حق" تساوي ما سبقها من الصيغ في سياق النهي، بالنظر إلى القصد وهو بتر حق الشعب في التظاهرات، وحرمانه حتى من حريته الديمقراطية في التعبير عن رأيه. فالدكتاتور من خلال التلفظ بهذه العبارات، قد أشار إلى تجنب ظاهرة مهمة تعتبر من أيسر الوسائل التي يعتمد عليها الشعب، للتعبير عن رفضه للمجازر التي تعيش على هلعها الأمة الفلسطينية وهي "المظاهرات الشعبية" باعتبارها من أهم الحقوق لكل رافض لنظام.

***2-1-3 الاستفهام:** من أنواع الإنشاء الطلبي وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة وأدواته كثيرة منها: هل الهمزة في البلاغة العربية "علم المعاني" ص: 93 وقد استعمله الدكتاتور للسيطرة على مجريات الأحداث وعلى ذهن الشعب وتسيير الخطاب تجاه ما يريده هو لا حسب ما يريده الشعب. ومن أهم أدوات اللغوية، الأسئلة المنغلقة مثلما قاله في مهمة اختيار شعبه لبناء دولته:

وهل تقبلون لسيدكم أن يساوي بينكم

أيها النبلاء

..وبين الرعاع..اليتامى..الأرامل؟

وهل يتساوى هنا الفيلسوف مع المتسول؟

هل يذهبان إلى الاقتراع معا؟

إذ ليس القصد أن يجيبه الأفراد بنعم أو لا، بل القصد أن يبيلور الإجابة في عمل فعلي، وذلك بأن ينفذ كل ما أدرجه على صيغة الاستفهام، من خلال عدم المساواة بين النبلاء والرعاع واليتامى والأرامل و وضع حد بين الفيلسوف والمتسول، فقد أراد درويش إبراز سياسة التفريق في بلد يعاني كل ما في الأرض من بشاعة، أليس اليتيم والأرملة والمتسول مواطنون لهم كامل الحق في الانتخاب والاقتراع مثلهم مثل النبلاء والفلاسفة، فأين مبدأ المساواة الذي نص عليه كل دستور وحديث وقرآن، إذن هذا المقطع من المنظور الإجرائي موجه إلى الطبقة العليا بلسان الدكتاتور، أما درويش فقد أراد به فتح عيون الطبقة العامة. وهناك أسئلة مركبة إذ يقضي السابق على اللاحق وهو ما يسميه حسن وجيه بأسئلة "الاقمعة"، حيث يبدأ المرسل بسؤال مفتوح ويعقبه بأسئلة، تأخذ في الانغلاق المتدرج للوصول إلى أسئلة مغلقة تماما ومثالها الخطاب التالي:

فكيف أحرر أجساد زوجاتنا من أصابع

غيري؟

وكيف أغير جلدا..بجلد..ونهدا بنهد؟

وكيف أكون امرأة من بياض البداية

إذ بدأ المرسل من الأسئلة الأكثر عمومية والتي تختص بكيفية التخلص من خيانة الزوجات،

هذه الصفة التي تلازم كل امرأة على حد سواء، ليصل إلى الأسئلة ذات الخصوصية المنغلقة بطرح الإشكال حول كيفية تغيير جلدن الذي لمسها عشاقهن؟ وهو تصريح بخيانتهم، ثم تغيير نهدين؟، ليصل إلى السؤال الأكثر انغلاقاً والذي دار حول كيفية إعادة تكوين نسائهم؟ حيث ربط كل استفسار بالمركب الاستفهامي "كيف" لأنه شبه عاجز على إيجاد الطرق التي تجعله يتغلب بها على الحيرة التي لازمته طوال حياته.

*2-1-4 التحذير:

هو آلية لغوية يعمد المرسل إلى استعمالها لينزه نفسه عن التلاعب بعواطف الآخرين، لا من خلال حضور الصراحة التي تؤكد للشعب على صدق الحاكم في التوجيه لكسب ثقته. وهو على صور كثيرة منها:

- صورة تقتصر على ذكر المحذر منه أي المكروه اسماً ظاهراً دون تكرار، ولا عطف مثيل له، والمراد بالمثل هنا- محذر منه آخر- كتحذير الحاكم لكل رافض لنظامه. ويظهر هذا النمط من التحذير في الكثير من المقاطع الخطابية منها قوله:

أترضى أخي الشعب بهذا المصير الحقيير أترضى

"معاذك"

فقد دل مؤشر "معاذك" من الناحية التداولية على سياق التهديد الذي وردت فيه العبارة السابقة، لأن العياد من الشيء رفض له وتحذير منه ودعوة صريحة لاجتنابه لخطورتها. - ذكر المحذر منه اسماً ظاهراً مكرراً مثل قوله:

حروب، حروب، حروب

لتوقف هذا العبث

قد استعاض المخاطب عن التحذير من الحرب باستعمال اللفظ الدال على ذلك كقولنا بتوظيف مصدره الصريح "حذاري من الحرب" أو الفعل الدال عليه "أحذركم من الحرب" ليبدل التكرار من الناحية التداولية، على الأثر السلبي الذي تحدثه هذه العبارة بتردها في أذن المستمعين، لتوقع في النفس اضطراب وخوف وقلق وهلع من الأحوال الناتجة عن وقوعها. - لفظ التحذير صراحة في قوله:

واني "أحذركم" من عذاب الحسد

فلأن الدكتاتور في سياق الحديث عن السياسة والمنصب، فقد حرص على استعمال نمط التحذير على لفظه، ليجنب المتلقي لكلامه أي لبس في فهم معناه، كون حديثه موجه إلى العيون الراصدة لمكانته التي لم ولن يتخلى عنها مهما كلفه الأمر. لذا لم يخاطر الدكتاتور في التلاعب بالكلمات والألفاظ المستعملة لإيصال هذا التوجه العقيدي بدقة ووضوح تام.

*2-1-5 الإغراء:

يشترك مع أسلوب التحذير في بنيته التركيبية، إذ يتكون الخطاب العميق في الأسلوبين من ثلاث عناصر:

(1) المرسل - المحذر أو المغري- الذي يوجه الخطاب.

(2) المرسل إليه- المحذر أو المغري-.

(3) المحذور أي المحذر منه أو المغري به. "استراتيجيات الخطاب ص35"

أما من حيث العمل التوجيهي فهو يختلف عنه تماما لأن التحذير هو توجيه إبعاد في حين أن الإغراء هو توجيه تقريب، والكفاءة التداولية هي الفيصل في تحديد قول المرسل. فمثلا في حديث المخاطب عن السلام في قوله :

فاستريحوا وناموا

سلام، سلام..

دعوة إلى الجح له وليس تحذيرا منه، لأن التكرار يحمل في طياته معنيين الأول تحذير والثاني إغراء، والسياق هو من يحدد أي المعنيين أراد المخاطب إيصاله.

*2-1-6 النداء:

يعد توجيه لأنه يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل، وللنداء أدوات كثيرة أبرزها حرف "الياء" مثلما ورد في الخطاب التالي :

يا شعبي، شعبي الحر، احرس هوائي

من الفقراء

من الملاحظ أن النداء غالبا لا يأتي وحده لتوجيه تابع مثل البيت السابق، لأنه مرتبط بطلب

عملي و المتمثل في حرص هواءه من الفقراء لأنه المتذمر الوحيد لما تؤول إليه الأمور بسبب سوء التسيير. ولتغطية على الجرائم اليهودية التي يعانيتها هو لا غيره لهذا استعمل محمود بلسان الدكتاتور أسلوب النداء لطلب النجدة مما سيقدم على فعله كل فقير في أمته.

*2-1-7 ذكر العواقب:

هي أوامر غير صريحة منها ما جاء مجيء الإخبار والثاني ما جاء مجيء مدحه أو مدح فاعله في الأوامر، أو ذمه أو ذم فاعله في النواهي، وما أشبه ذلك. فإن هذه الأشياء دالة على طلب الفعل في المحمود وطلب الترك في المذموم. "استراتيجيات الخطاب ص: 396" وهي آلية مباشرة صريحة استعملها الدكتاتور مستعملاً أسلوب التحريض في قوله:

إذا زادت المفردات عن الألف، جفت عروق

الكلام

إذا زادت المفردات عن الألف عم الفساد

وساد الخرام

لان الكلام الكثير غبار الذباب

هذا توجيهه للابتعاد عن الدفاع عن الوطن حتى بالقلم والحرف، ليجرده من كل الوسائل حتى ابسطها للوقوف في وجه العدو، لأن كل حرف يأتي بعد الألف وأضاف لها معنى عاقبته تمثلت على حد قوله في قطع اللسان، وعموم الفساد. فهذه الأبيات دعوة منه للشعراء والكتاب إلى تجنب استعمال الكلمات للتنفيس عن غضبهم والتعبير عما قهرهم.

*2-1-8 التوجيه المركب:

حيث يجمع المرسل بين أكثر من أسلوب في سياق واحد للتوجيه، قد يكون الأسلوبان متضادان كاستعمال أسلوب التحريض وأسلوب التهديد في قوله:

اخطنوا واسرقوا وافسقوا

لأقطع كفا وأبدع أنفا وادخل سيفاً بنهد

يظهر أسلوب التحريض في البيت الأول بتشجيعهم على الفسق والظلم ليأتي في البيت الثاني بعاقبة هذه الأعمال الوسخة، باستعمال التهديد. وهذا لكي يظهر نيته الحسنة في تغيير النظام في بلاده نحو الأحسن بالقضاء على كل الأعمال غير الشرعية بين أفراد أمته.

من خلال تطبيق هذه الإستراتيجية على مختلف مقاطع الخطب الدكتاتورية تبين لي ما يلي :
*تنوع المرسل في الأساليب ما بين (العرض-التحريض إلى النهي و التهديد) .

*جهة المنفعة الانجازية باتجاه المرسل لا المرسل إليه، لأن كل ما يتلفظ به الحاكم أو المنتخب يهدف إلى تحقيق فائدة تعود عليه لا على شعبه.

*الكشف عن العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، من التباين الشديد بينهما كآمر ومأمور وهي الصورة التي أراد محمود تصويرها، إلى التقارب الملموس كالمصاحب وصاحبه ،الأخ وأخيه، الولي وولده.

*حصول تحدي واضح بين الدكتاتور ورعيته، من خلال جل التعليمات التوجيهية و بالاتكاء على موقعه السلطوي، ليجعل منه عبدا له خاضع لكل نوااميسه الأنفع منها و الضار

3/: الإستراتيجية التلميحية

إن اللغة مواضعها للتعبير عن قصد المرسل في كافة المستويات، منها المستوى الدلالي إذ يستطيع المرسل أن يعبر وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهرياً، وهذه هي الإستراتيجية المباشرة، ومع هذا قد يعدل عنها إلى إستراتيجية أخرى فيلمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه، وهذا يفضي بنا إلى الإغلاء من قيمة السياق في منح الخطاب دلالة في التعبير عن القصد، وتسمى هذه الإستراتيجية بـ "التلميحية"

3-1: الوسائل اللغوية في الإستراتيجية التلميحية

"استراتيجيات الخطاب ص: 384-442"

*3-1-1 الملمحات:

مثل الأفعال المعجمية التي تدل على الافتراضات و التأكيدات والشكوك وقد وردت في قوله:

يخيل لي أيها الشعب يا صاحبي

... أن حقي على الله أكبر من واجبي

في هذا المقطع أخذ الفعل "يخيل" وهو من أفعال الرجحان -بغض النظر عن أثره النحوي بوصفه عاملاً في التركيب - بعداً تداولياً تمثل في إضفاء الشك على ما قيل، ليتوخى المخاطب الجزم والتأكيد، لأنه من جهة على علم تماماً بلقن واجبه أكبر من حقه كونه دكتاتور بلد يعاني من الاحتلال ما يلزم عليه توفير الأمن والسلام في أرجاءه، وتقليص واجباته. والهدف من توظيفه بغية التأثير في الطرف الآخر وتقليص واجباته اتجاه شعبه

*3-1-2 التهكم:

حيث يستعمل المرسل هذه الآلية بوصفها إحدى آليات الإستراتيجية التلميحية، وهذا يستلزم قصد غير ما يدل عليه الخطاب بمعناه الحرفي فقط، وهذا يتطابق مع الذي بين أيدينا لأن كل مقطع من مقاطع خطب محمود من طابع السخرية من الحكام والأمراء. وقد أخرج درويش الكثير من الوعود لا على مخرج الاستحقاق رغم أن الشعب أهل لذلك ولكن على

مخرج الاستهزاء والتهكم بحاله تمردا واستكبارا على حالته الميؤوس منها، ليتخذ مــــ السلام ومعالمه لفظا دون تطبيق وهذا في قوله :

سأمنحكم كل حق تريدون ، حق البكاء

على قط شريد

وحق الكلام عن السيرة النبوية

وحق الذهاب إلى البحر كل يوم

.....تريدون

باطن هذه الأبيات أو ما أراد درويش تجسيده، هي صورة الحرمان التي يعاني منها الشعب المسكين. لأن هذا المقطع يحمل أسوء الكوابيس والتي تظهر من خلال ما تتضمنه هــــ الأبيات، كشعب محرم حتى من البكاء على الحيوان فكيف له أن يبكي على موت أخيه الإنسان؟ محرم من الحديث عن دينه وعن سيرة أنبياءه، محرم من التمتع بما سخره الله من سحر الطبيعة والدكتاتور بكل سخرية يعده بإرجاع ما سلب منه. وقد استعمل الفعل المضارع مع "قد" للدلالة على التقليل رغم قدرة الشعب على تنفيذ مقتضى خطابه وما يرمي إليه، ويتبين ذلك في قوله :

قد نتحالف ذات يوم لنحمي أنفسنا

لقد وردت هذه الآية على جهة السخرية بلفظ الوعد تهكما، في سياق حديثه عن الأحزاب السياسية واشتغالها بإنتاج الألفاظ والعبارات دون استحقاق معناها على أرض الواقع. وهـذا في قوله :

سننشئ جنة عمالنا القادمين

من الفكرة المطلقة

إلى الفكرة المطلقة

ونحن الذين

سنحرق كل المراحل... كي نصنع الطبقة

من المصنع اللغوي ، كي نرفع الطبقة

إلى سدة الحكم حتى نعبر عنها بحزب

وثورة

ظاهر هذا المقطع دعوة إلى التعاون من أجل بناء مستقبل جديد، لكن باطنه استهزاء واستغفال منه لشعبه. فكيف له أن يرقى بغداد واعد ومستقبل أفضل عن طريق استرسال الأفكار وإنتاج العبارات وحرق المراحل. وكيف له أن يرفع الطبقة من المصنع اللغوي أي من تألف الحروف والكلمات والجمل والنصوص والفقرات حتى الروايات والأساطير، إن الشعب بحاجة إلى تجريد هذه التأليفات من طابع الكتابة إلى طابع التنفيذ الفعلي.

*3-1-3 الاستلزام النموذجي:

أو ما يسميه السكاكي بإجراء المعنى على الأصل، وذلك باستعمالها في سياقات عامة — يتعذر على المرسل إليه الانتقال إلى قصد غير القصد الأصلي الذي يتطابق فيه معنى — الخطاب مع قصد المرسل. "استراتيجيات الخطاب ص: 431"

ويتضح استثمار الدكتاتور في إفهام شعبه قصده في الخطاب التالي :

سأختار شعبي

سأختار أفراد شعبي

سأختاركم واحدا، واحدا من سلالة

أمي ومن مذهبي

إذ يقتضي هذا أن المخاطب مفوض للقيام بهذه المهمة، لأنه لا يستطيع التلفظ بهذه العبارات وقصد معناها وتطبيقها إلا المخول لها الذي يتمتع بالسلطة التي تخوله لتنفيذ ما وعد به ، وهو الحاكم أو الأمير أو الدكتاتور، كما تقتضي هذه العبارة إبعاد كل من ليس من صلب سلالته ومذهبه من حيز دائرة شعبه، وهي سياسة التفريق التي تحدثنا عنها سابقا. ولا تقتصر فائدة مراعاة هذه القاعدة على الخطاب الخبري، بل يتجاوز إلى الخطاب الإنشائي مثل قوله:

تري هل يليق بمن هو مثلي قيادة لص

واعمي وجاهل؟

فاستلزام هذا القصد أن شعبه مليء باللصوص والعميان والجهلة، وهو رافض رفضا باتا

على توأجدهم بين أفراده لأنه في صدد تنظيف دروب مدائنه من كل العباد التكالى على حد قوله، وقد وظف هذه المعاني في أسلوب إنشائي اتخذ من الاستفهام طابع له ليؤكد على وجهة نظره تجاه هذه الطبقة لأنها السبب وراء كل ما آلت إليه الأمور من فساد وخراب.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها بعد تطبيق أبعاد هذه الإستراتيجية على أبيات الخطب الدكتاتورية ما يلي:

*خاصية التأدب في الخطاب التي أراد الدكتاتور أبرزها من خلال الآليات التي ذكرناها آنفا،مراعاة لما يقتضيه البعد الاجتماعي كاحترام حقوق الشعب وضرورة تأدية الواجبات نحوه،هذا من وجهة نظر الدكتاتور.أما محمود فقد أراد من هذه الخاصية إبراز دناءة المرسل في أذهان الآخرين،ويتمثل ذلك من خلال:

*إعلاء الحاكم لذاته على حساب الآخرين، وإضفاء التفوق عليها بذكر أقدارهم والسخرية من أحوالهم واحتقارهم وتصنيفهم في طبقة أدنى منه.

*إبراز شخصية الحاكم الضعيفة،من خلال ظاهرتي التملص والتهرب من ذكر الحقائق خاصة تلك الكامنة وراء الأسباب الرئيسية في حالة الفساد والبؤس الذي يعم بلادهم، وتغليب أفراد شعبه ووضع الحق عليه لما ألت إليه الأمور.

*إبراز السلطة التي يتمتع بها الحاكم والتي استعملها محمود ظاهريا كوسيلة للنص—ح وتوجيه المرسل إليه للفعل الأصح،وباطنيا للتغطية على أعماله القذرة.

ثانياً: الأفعال الكلامية

تمهيد:

تعد نظرية أفعال الكلام مبحثاً أساسياً في الدراسات التداولية المعاصرة، كونها تغطي معظم مقاصد المتكلم ونواياه. فالقصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي، كما يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، ليفهم المتلقي ما أرسل إليه. والتلفظ بالعبارات والتي يكون هدفها يختلف عن هدف الجمل الإخبارية، هو في حد ذاته إنجاز لفعل ما، ويقدم أوستين أمثلة في هذا السياق كفعل الزواج وفعل التنازل عن الحق وغيرها فيقول: "أن كل الملفوظات التي سنعالجها تمثل - بالصدفة - أفعالاً عادية بصفة المتكلم والمخاطب في الزمن المضارع الدال على الحاضر والتي لا تصف ولا تحمل خبراً ولا تثبت شيئاً، ولا هي صادقة أو كاذبة، وإن التلفظ بهذه العبارات هو ذاته تنفيذ الفعل، وأن هذا التلفظ لا يمكن وصفه بصفة جيدة لأنه فعلاً قول شيئاً"

jz/1/austin quand dire c'est faire p :40

ويسمى أوستين هذا النوع من الجمل بالعبارات الإنجازية. ويؤكد على أن التلفظ بهذه العبارات التي تحقق إنجاز فعل، تحتاج إلى توفير شروط أو عوامل، منها ظروف التلفظ أي -السياق- والتي تلعب دوراً هاماً في إنجاز الفعل، "ثم حاول أوستين معالجة الإشكالية المطروحة من منطلق جديد.

(1) الفعل القول:

وهو فعل إنتاج الأصوات وتركيبها في كلمات ملتزماً بقواعد اللغة، ويحمل دلالة معينة.

(2) القول الفاعل

وهو الفعل الذي ننجزه أثناء القول.

(3) الفعل التأثيري:

الأثر غير المباشر الذي نحققه بالقول. "جان سيرفوني الملفوظية، ترجمة د قاسم ص: 93"

أما القول الفاعل أو الأفعال الإنجازية فقد قسمها أوستين إلى خمسة أقسام هي:

"الحكمية - التمرسية - التكليفية - العرضية - السلوكية"

ولم تزل العربية من هذه التصنيفات وقد جاءت على النحو التالي:

" الإيقاعية - الطلبية - الإلتزامية - التعبيرية "

وسأحول إسقاط هذه التصنيفات على الخطاب الشعري لمحمود درويش للوصول إلى مدى تأثير هذه الأفعال على الطرف الآخر للعملية التواصلية - المرسل إليه - والذي يأخذ دوره في هذه الخطب "الشعب".

1/الأفعال الالتزامية

يلتزم فيها المتكلم بسلسلة من أفعال محددة مثل: (وعد- تمنى- ضمان- القيام بمعاهدة)
بمعنى آخر هي أفعال يقصد بها المتكلم طوعا فعل شيء ما نحو: الوعد – الوعيد .
"خليفة بوجادي -خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور -ص119"

ولأن المخاطب قد تلبس شخصية الدكتاتور الذي يعد شعبه بتحسين ظروف معيشته والظفر
بمستقبل أفضل، فقد تعددت هذه الأفعال في مختلف المقاطع الخطابية نذكر منها قوله :

من كان منكم طبيبا....أعينه

سائسا لحصاني الجديد

ومن كان منكم أديبا....أعينه حاملا لاتجاه

النشيد ،ومن كان منكم حكيما ...أعينه مستشارا

لصك النقود

ومن كان منكم وسيما...اعنه حاجبا

للفضاح

ومن كان منكم قويا ...أعينه نائبا للمدائح

ومن كان منكم بلا ذهب أو مواهب

فليصرف

لقد تسلسل الفعل الكلامي " أعينه " في هذا المقطع حاملا قوة انجازية غير دلالتية
المعجمية تمثلت في "الالتزام" الذي يعد به المخاطب شعبه كونه دكتاتور هذا البلد ،هذا
الوعد ليس لغرض تحسين حالته وإنما لمواصلة قهره وظلمه واستبداده والقضاء على
مستقبل كل فرد فيه سواء أكان طبيبا أو أديبا أو حكيما ،فغاية محمود درويش من توظيف
هذا الفعل الكلامي هو السخرية من الحاكم وقراراته وأن هذا الأخير خاضع بدوره للسلطة
العليا وهي الجبهة الصهيونية التي تتحكم في مصير كل واحد منا. إذن ومن خلال ما سبق
نلاحظ أن الفعل "أعينه" وعلى الرغم من إدراجه ضمن الأفعال الالتزامية أو بالأخص
أفعال الوعد إلا أنه أخذ بعدا تأثيريا مغاير تماما تمثل في السخرية.

وتتضح هذه الفكرة أكثر في البيتين الأخيرين، فكان أصحاب المواهب احترمت مواهبهم؟ وقد تكررت مثل هذه الأفعال وفي مثل هذا السياق في مختلف المقاطع نذكر منها قوله:

سأمنحكم حق أن تخدموني

و أن ترفعوا صوري فوق جدرانكم

وان تشكروني لأنني رضيت بكم

أمة لي

سأمنحكم حق أن تتملوا ملامح وجهي في

كل عام جديد

في هذا المقطع اعتمد المخاطب على الفعل "أمنح" كوسيلة للتعهد أمام شعبه مدرجا إياه في زمن المستقبل بإضافة الأداة الدالة على ذلك "س". وقد صنفته ضمن الأفعال الالتزامية لأن المخاطب في هذا السياق يعد أفراد أمتة بخدمته ورفع صورته والتأمل بلامح وجهه وحقهم في البكاء والهواء أما غاية درويش من توظيف هذه الأفعال يعاكس تماما ما سبق ليدخل في سياق مغاير تماما للوعد والوعيد الذي اقتضتاهما الأفعال الالتزامية وهو "السخرية" لماذا؟ لأن الشعب الفلسطيني ليس في حاجة إلى رفع الصور والتأمل في الملامح، بل حاجته تقتضي تغيير مصيره والقضاء على مظاهر الظلم والفسق والاستبداد. أما البعد الثاني الذي أراد محمود تصويره هو الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الحكام لأنه سياسي وعلى علم بكل ما وراء الستار؟ وقوله أيضا:

سأختار شعبي

سأختار أفراد شعبي

سأختاركم واحدا واحدا من سلالة

أمي ومن مذهبي

سأختاركم كي تكونوا جديرين بي

هذه الأفعال عبارة عن أصوات مركبة في كلمات ذات جذر واحد "اختار" يحمل دلالة معينة أما دوره في هذا الخطاب يتعدى هذا المفهوم، لأن الخطيب عندما أنجز هذا الفعل أنجز من خلاله قولاً ثانياً ذا طبيعة أخرى تمثل في الالتزام، بحكم أن المخاطب قد أخذ من

شخصية الحاكم شخصية له – هذا الأخير- له السلطة في اتخاذ القرارات وتطبيقها على الشعب المسكين الخاضع لأوامره ونواهيته. ويظهر أثر هذا الفعل في نفس المتكلم في قوله فيما يلي:

اذن اوقفوا تصفيقكم كي تكونوا

جديرين بي وبحبي

هذا الفعل قد استدعى الاعتراض عما سبق فغير لغة السياق من الإقرار إلى الطلب، ومن خلال هذا الطلب الذي يتمثل في التوقف عن التصفيق يبرز تأثير المخاطب على مستمعيه، لأن السامع إذا صفق يعني أن كلام الملقى قد أوقع شيئاً في نفسه دفعه إلى القيام بمثل هذه الحركات، وهو افتراض منه لا غير. وقد أخذت الأفعال الالتزامية بعدا تحفيزيا من خلال قوله:

الغي الزراعة، الغي الفكاهة الغي

الصحافة

أوحد مالا يوحد ، احرس إيوان كسرى

**وأدعوا إلى وحدة المسلمين على سيف قيصر
أرشو ملوك الطوائف، امحوا شرائع سومر**

امنح إفريقيا صوتها ، وأعيد النظر

جسدت هذا البعد الأفعال (الغي- أوحد- ادعوا- أرشو- امنح- أعيد .) من خلال سلسلة الالتزامات التي يعد بها المخاطب مستمعيه، والتي تمثلت في: إلغاء نظام العقوبات والزراعة إضافة إلى الفكاهة والصحافة ، و الدعوة إلى وحدة المسلمين، منح الصوت لإفريقيا لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل الحكم حكمه أو تنفيذ القرارات من شأنه — أو بتعبير آخر : هل مصلحة الشعب من ابرز اهتماماته ؟ إذن مرد استعمال هذه الأفعال هو تحفيز الناس من أجل كسب أصواتهم فقط لا لتنفيذها، لتدخل ضمن جملة الوعود الزائفة والتي أراد محمود كشفها لأفراد أمته لأنها بالنسبة له حبر على ورق ليس إلا. ومن سياق التحفيز والتشجيع إلى سياق التهديد الذي يظهر في قوله :

سأحكمكم لا مفر

حيث استعمل الفعل الإلزامي (أحكم) كونه الأجدر والأحق بالتلفظ به وقصد معناه، لأن الحكم عادة ما يعطى للأكبر شأنًا، حاملاً صفة التهديد أو الوعيد الموجه من الدكتاتور إلى رعيته لتتماشى مع غاية محمود في وصف شخصية الأمير الظالمة المستبدة. وقد تكرر سياق التهديد في الكثير من المقاطع منها قوله:

وإلا اسعلن إضراب زوجاتكم

المضاجع

إما الصيام عن النوم بين أفخاذهن
السلام

في هذه الأبيات أيضا يواصل درويش وصف شخصية الحاكم التي تظهر في هذا المقطع كمحبة للسلام بحيث يلجأ إلى كل الوسائل لتحقيقه ليتخذ من التهديد طريقة للجنح له والتي تمثلت في حرمان الشعب من حقوقه حتى مع نسائه.

2/الأفعال الطلبية

هي كل فعل يدل على طلب مثل: أوجــــبـت عليك، أمــــرتك.....

"خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور - ص: 118"

و تقوم وجهة الإنجاز في الأوامر على محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لفعل شيء ما، باللين أو العنف. وأمثلة أفعال هذه الفئة هي: طلب، أمر، تـرجى، استـدعى، سـمـح

"د حافظ اسماعيلي التداوليات علم استعمال اللغة ص: 115"

ويقوم وجه الانجاز في الأوامر على حصول المتكلم بواسطتها على القيام بشيء ما، ويمكن لهذه الأوامر أن تنتقل من الاقتراح الخجول لتصل إلى المطالبة الإجبارية، فقد كان لهذه الأفعال دورا كبيرا في إبراز جانب تأثير المخاطب على مستمعيه وتوضح هذه الصور التأثيرية أكثر في قوله:

اخـطئوا.... اخـطئوا...

اسـرقوا.... واسـرقوا

نظرا للسلطة التي يتميز بها الحاكم على شعبه جاءت هذه الأفعال على صيغة الأمر، لأن الأمر عادة ما يعطى من الأكبر شأنًا إلى الأصغر منه، مستعملا بذلك فعل الخطأ والسرقة والفسق على حقيقته، فالقارئ أو السامع لتتابع هذه الأصوات دون ربطها بالسياق الذي وردت فيه، يضع في فهمه أن الخطيب قد أمر الشعب بارتكاب هذه الجرائم، لكن على عكس ذلك تماما فالمتكلم أراد من هذه الأفعال أن تخرج إلى نمط آخر من المعاني، يظهر هذا النمط في البيت التالي :

لأقـطع كفا واجـدع أنفا

وأدخـل سيفا بنهد

نهد

حيث وظف المخاطب أفعالا التزامية واضحة تمثلت في القطع والجدع. وهنا تبرز الغاية من توظيف الأفعال السابقة (اسرقوا-افسقوا اخطئوا) التي أخذت معنى مغاير تماما لمبدأ التحريض لتأخذ كشكل من أشكال التهديد. وهو البعد التأثيري الذي يرمي إليه محمود للكشف

عن جبروت الدكتاتور. وقد تعدد سياق التهديد الذي وردت فيه الأفعال الطلبية نذكر منه قوله :

أحبوا الأمير وخافوا الأمير

ولا تقنطوا من دهاء الأمير

(أحبوا- خافوا- لا قنطوا). أفعال طلبية دخلت في سياق التهديد والتحذير لأن محمود درويش أراد من هذا الخطاب -خطاب الأمير - تصوير شخصية الحاكم المستبد الذي يتحكم حتى في مشاعر شعبه المقهور بفرض حبه والخوف منه ولم تمنع النساء من جبروت الدكتاتور حيث لجأ في هذا الخطاب إلى استعمال أفعال طلبية واضحة تمثلت في "الجلي - والجلد " وقد أخذت هذه الأفعال بعدا تهديديا لكل امرأة وهذا في قوله:

على كل امرأة حارسان

وفي كل امرأة أفعوان

فاجلدوهن قبل الأوان

لئلا يوسوس فيهن

شيطانهن

يوصل المخاطب كلامه عن السياق مغيرا لغة السياق من التهديد إلى التخويف ويظهر

هذا في قوله فيما يلي :

واستغفروا الله ، وارموا

على مرفأ الجرح وردة

ولا تهجروهن

.... فوق المخدة

فإن النساء على كل معصية

قادات

النساء حبيباتنا من قديم الزمان

هنا يتبين أن المخاطب وعلى الرغم من دكتاتوريته إلا أنه أمام فطنة النساء ودهاءهن ضعيف وخائف، وتتجسد هذه المشاعر من خلال الأبعاد التأثيرية التي حملتها الأفعال

الكلامية (استغفروا - لا تهجروهن) وقوله أيضا:

ولا تسمعوا ما يقول ملوك الطوائف

عني

واني احذركم من عذاب الحسد

ولا تدخلوا في السياسة

إلا إذا صدر الأمر...

عني

استعمل المخاطب في هذا السياق أفعالا طلبية ناهية، بإضافة الأداة "لا" الدالة على ذلك للأفعال (تسمعوا- تدخلوا) ليوّجهها إلى كل طامع في السياسة، لهذا أخذت من التهديد طابع لها، فمحمود سياسي وله الخبرة في مجال السياسيين الذين يتخذون من السياسة وسيلة لتحقيق أهدافهم وغاياتهم على حساب الشعب المسكين، وكيف لاستغلالي أن يسمح لفرد أن يأخذ مكانه، لهذا حذر كل من يقترب أو يدنو من منصبه باستعمال فعل التحذير "أحذركم" كما لم تخلو الأفعال الطلبية من طابع التحفيز والتشجيع والذي يظهر في قوله:

قفوا يا أيها الناس

يا أيها المنتقمون

قفوا أيها الناس

حولي خاتم

لنصلح سيرة حواء

....نصلح أحفاد آدم

كتعبير عن روح الشجاعة والتحدي اللذان يغمرانه استعمل المخاطب الفعل الطلبية "قفوا" داعيا بذلك الناس إلى الانتقام في قوله "يا أيها المنتقمون" وإصلاح سيرة حواء وأدم. كما لم تخل السخرية من أغراض الأفعال الطلبية وهذا في قوله:

كلوا ما أعد لكم من ثمر

وناموا كما أتمنى لكم أن تناموا

مودين

بعد صلاة العشاء

وقوموا من النوم حين ينادي

المنادي

باني رأيت السحر

وسيروا غالى يومكم آمنين ووفق نظام

كتابي

كلوا ما تشاءون من بصل اخضر

أو جزر

حيث أراد محمود من هذا المقطع ومن خلال توظيف الأفعال الطلبية: (كـاوا- ناموا- قوموا- سيروا) أن يظهر أو يكشف لنا عن استغلال الحاكم للشعب ، فكيف لرئيس يخضع بدوره لرئاسة عليا هدفها تدمير الشعب أن يطلب منه آكل التمر، والبصل الأخضر والجزر، والنوم باطمئنان ، والقيام في هدوء، والسير بأمان ... فالمخاطب يسخر من الشعب وقدره ، فهل يجوز كل هذا في بلد يعاني جل مظاهر الظلم والحرمان، أليس هذا استهزاء بأحواله . وقد تردد هذا السياق في عدة مقاطع منها قوله:

فهيا قوموا فهذا أوان الأمل

وهذا أوان النهوض من المأزق المحتمل

إذا حاصرتنا جيوش الشمال

نحاصر إخوتنا في الجنوب

وإذا حاصرتنا جيوش الجنوب

ندمر إخوتنا في الشمال

ومن السخرية إلى التوبيخ وهذا في قوله:

لتوقف هذا العبث؟

وتوقف إنتاج مستقبل غامض من الجثث

أفي الغاب نحن لنقتل جيراننا الباحثين على

أرض

وما الحرب يا صاحبي إلا غرائز أولى

خلاف صغير

غير المخاطب في هذا المقطع نمط أسلوبه ليتبنى الصيغة الاستفهامية للتأثير في مستمعيه حيث اتخذ من الفعل الطلبى "لتوقف" وسيلة لتوبيخ كل من يهدف إلى إضرار الحرب في بلاده، لكن محمود أراد من هذه الأبيات أن يبين أن الحاكم لا حول ولا سلطة له إلا النجاح إلى السلم، ليس لأنه يهدف له بل لأنه الوسيلة الوحيدة كونه ضعيف ولا يستطيع مجارات عدوه، ويظهر هذا الغرض أكثر في الأبيات التالية :

فليتوسع قليلا لماذا نخاف

.....لماذا نخاف؟

فهل تستطيع الجراداة أن

تأكل الفيل أو

تشرب النيل؟

في الأرض متسع للجميع

وفي الأرض متسع... للسعادة

هذا دليل واضح على الاستسلام الذي لا طالما لازم كل حاكم، لأنه راض على تقاسم أرضه مع العدو. وقد تبنت الأفعال الطلبية غرضاً آخر يختلف عما سبق تمثل في التمني من خلال قوله :

أعدوا لي العرش من ريش مليون نسر

أعدوا لي العذارى، أعدوا الشراب

ونادوا ملائكة الشعر، صلى عليه وصلى له

هذه المرة اتخذ المخاطب من التمني وسيلة لإتمام سيرة الظلم والقهر واللامبالاة التي يلحقها بشعبه، فحبه للسياسة والمنصب كحاكم هذا البلد جعله يتمنى حتى وهو في قبره مواصلة سيرورة أعماله من خلال الفعل الطلبى "أعدوا"

3/ الأفعال الإيقاعية

هي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقاربا للفظه في الوجود أي تأخذ دلالتها بمجرد نطقها كأفعال البيع والشراء، الهبة، الزواج، التنازل على الحق....

"خصائص التراكيب اللغوية في بوابات النور ص:118"

ومن خلال هذه الفعال يواصل محمود درويش، وصف شخصية الدكتاتور الجبارة، وقد تنوعت هذه الأخيرة بدورها بين أفعال التحدي، أفعال الإقرار، نظرا للهيمنة والجبـروت اللتان يتميز بهما المخاطب هذا من جهة، ومن جهة أخرى غاية محمود من السخرية من أحكام الحكام والحاكمين وقراراتهم، إضافة إلى لجوءه بعض القسم وبعض الإدراك واليقين.

***أفعال التحدي :** تتبين في قوله:

سأفرم لحم اليسار، وأحجب ضوء النهار

عن الزمرة الناقمة

سأكسر كل المدافع حتى يفرخ فيها الحمام

سأكسر ذاكرة الحرب

من وجهة نظر الدكتاتور هو يملك كل القدرات على تنفيذ ما وعد به فيختار الأفعال (أفرم-أكسر) للتعبير عن روح التحدي التي تأسر كيانه من أجل مواجهة كل قائل بالحرب وكل ناد بها وإحلال السلام بين أفراد شعبه، وهنا يتبين غرض الدكتاتور من توظيف هذه الأفعال وهو تحفيز السامع حول مستقبل آمن له حتى وإن اتخذت من التهديد قالباً لتوضع فيه، أما من وجهة نظر درويش فكل هذا التحدي فراغ نابع من فراغ لأن الدكتاتور لا يرتاح إلا في الكلام الذي يتخذه وسيلة للتعبير فقط أما التنفيذ فهو خارج عن استطاعته، فمحمود يصور لنا السياسي وخطاباته التي لا تنفك أن تكون مجرد حبر على ورق، وقد تعدد ورود هذه الأفعال في البيات الخطابية نذكر منها ما يلي:

اعدوا لي القبر أوسع من هذه الأرض

اجعل من هذه الأرض

أقوى من الأرض

أراد محمود من خلال هذا المقطع أن يبين لنا حب الحاكم للسلطة والتعلق بها حتى بعد مماته، وقد اختار الفعل "أجعل" ليظهر صورة التحدي على أكمل وجه، لأن الإنسان الضعيف غير مخول للتعبير عن ما تحمله هذه الأفعال من الناحية التداولية بل الأحقق باستعمالها وقصد معناها في هذا السياق الذي وردت فيه هو الدكتاتور، الذي يرفض رفضاً باتاً التخلي عن الحكم حتى وهو في قبره، فتحدى غيره بأن يجعل الأرض التي يدفن فيها أقوى من الأرض التي كان فيها وهو على قيد الحياة، وهنا يتضح لنا ما أراد أن يجسده محمود في هذا المقطع وهي اللامبالاة التي يحس بها الحاكم اتجاه الشعوب، لأن كل ما يهمهم المنصب والثروة.

***أفعال الإقرار: تظهر في قوله :**

ولأعترف

أمامك أيها الشعب ...يا شعبي

المنتقي بيدي

كرهت جميع الطغاة

لأن الطغاة يسوسون شعباً من الجهلة

"أعترف" فعل حمل قوة إنجازية تضاف إلى دلالاته المعجمية تمثل في الإقرار بكـل صراحة ووضوح. فلأن الدكتاتور في صدد تغيير النظام في بلاده، اعتبر فعل الاعتراف بكرهه للطغاة بمثابة خطوة كبيرة بالنسبة إليه للقضاء على كل مظاهر الجهل، أما البعد التأثيري الذي يرمي إليه محمود من خلال هذا الفعل هو السخرية من الخطابات الدكتاتورية التي تبحث عن الفجوات كي تهرب من الواقع المرير الذي يعيشه أهلها فكأن الشعب في الحرب همه القضاء على الجهل والأمية ورفع نسبة التعلم، أو كأن الطغاة لا يدمرون ولا يهلكون ولا يخربون بل همهم هو القضاء على العلم، فحاجة الشعب تقتضي تجاوز كل هذه الأمور لتأخذ من السلام والقضاء على العدوان مرمى أساسي لها. إذن ومن خلال ما سبق اتضح لي أن الفعل "أعترف" أخذ بعدان:

أولهما: انجازي تمثل في إقرار الدكتاتور بمظاهر العنف والعدوان التي يتعرض لها الشعب

ثانيها: البعد التأثيري الذي يرمي إليه المخاطب وهو السخرية من مشاعر الحكام ،
ولتوضيح أكثر لهذه الأفعال ننتقل إلى قول آخر :

عرفت التصدي

عرفت التحدي

وجربت أن أستقل عن الشرق والغرب

لكنني لم أجد

غير هذا التردي

يقر الدكتاتور من خلال الأفعال (عرفت - جربت) على ماضيه الحافل بالبطولات من خلال ظاهرة التحدي والتصدي التي عرفها بل وخاضها، ليوهم المستمعين بشخصية البطولة التي تلبسها ، لكنه يدعو رغم ذلك إلى الجرح للسلم لأن ما كان على تجربة له لا فائدة من وراءه إلا التردي، معبرا عن ذلك بالفعل الإقراري (لم أجد) ، فهي دعوة للاستسلام بطريقة غير مباشرة ليقضي بذلك على روح التحدي للعدوان الصهيوني . لتتسم أخيرا شخصية الدكتاتور بالضعيفة والجبانة التي تتخذ من السلم وسيلة للهروب من مواجهة وقد اقتضى السلم في نظره أبعد الحدود ليتوصل به الأمر إلى التخلي عن أراضيه وهذا في قوله :

سأعطيهم ما يشاءون منا وما لا يشاءون كي

احمي السلم

فالسلم أقوى من الأرض ... أقوى وأعلى

فهم بخلاء ... لنأمن

ونحن كرام ... كرام

وعاش السلام

هل يقتضي الكرم أن يتخلى الفرد عن بلده ؟ ولم تكن أفعال الشك غائبة في الخطاب حيث ظهرت في قوله :

يخيل لي أيها الشعب ... يا صاحبي

أن حقي على الله أكبر من واجبي

ولكنني لا أريد معارك أكبر منكم

"يخيل" أفعال الشك وظفه المخاطب للتعبير عن بعد الدكتاتور عن اليقين في مسائل الرب لعدم قدرته على المناورة في المعنى لأنها واضحة لا تحتاج لأي تلاعب بالألفاظ كما كانت أفعال القسم حاضرة في قوله:

فوا الله لا علم والله لا علم لي

بمالي عليكم ومالي عليكم حرام حلال

استعمل في أداءه للفظ القسم لفظ الجلالة بدلا من الفعل الصريح الدال على ذلك "اقسم" او "احلف" لتأثير أكثر .

4/ الأفعال التعبيرية

وتشمل كل الأفعال التي يعبر بها المتكلم عن وجدانه ومشاعره، إلى جانب أفعال الشكر والإعتذار... "خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور ص119"

وغير هذا الصنف التعبير عن المواقف النفسية تعبيراً مخلصاً وصادقاً، بإظهار الضعف أو القوة أو الحزن. "د نعمان بوقرة مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ص: 102 "

ولأن الحاكم قد أخذ على محمله تسيير شؤون بلاده وتغيير مستقبل شعبه نحو غد أفضل، فمن غير الممكن ألا يستعمل أفعالاً تعبيرية تدل على رفضه للطغاة، وقد تنوعت هـذـه الأفعال بين اليأس والإحباط والخوف والغضب إلى الحيرة وغيرها من الإدلاءات، ومن أمثلة الأفعال الدالة على الغضب قوله:

فتبا لهذا الفساد وتبا لبؤس الثكالي

سأختار شعباً من الأذكياء.. الودودين

...والناجحين

وتبا لوحل الشوارع

لقد لعبت الصيغة اللفظية "تبا" من الناحية التداولية، دوراً كبيراً في إبراز ما كان مختلج في صدر الدكتاتور من مشاعر الكره والغضب، كونه عاش كل مظهر من مظاهرها، أما غاية محمود درويش تنعكس تماماً عما سبق لتغير لغة السياق من الغضب إلى السخرية حتى من مشاعر الحكام وأحاسيسهم، فكيف له أن يغضب من العباد الثكالي وأن يعتبرها السبب في الفساد الذي يعيشه حالياً، أليس الأجدر به أن يغضب من أشكال العنف والعدوان التي يتعرض لها أفراد شعبه في كل أرجاء معمرته؟ ومن الغضب إلى الحيرة التي لم تفارقه كونه جسد فلسطيني بعقل يهودي، ويظهر هـذا فـي قـولـه:

أرجع من حيث ضعنا؟ إلى أين يرجع هذا

الكلام... إلى أي باب

قطعنا الكثير من القول فليتبغ الفعل

خطوتنا في طريق العذاب

ولكن إلى أين نرجع يا بحر والبر ذاكرة

عبر المخاطب في هذا المقطع عن الحيرة التي تملأ قلبه بالفعل الكلامي " نرجع " مدرجا إياه في صيغة استفهامية بإضافة الأداة الدالة على ذلك وهي "الهزمة" لأنها الأقرب إلى تمثيل ما ينتاب الدكتاتور في هاته الأبيات، كونه محتار في أي مكان يجد الطمأنينة والسلام في البر أو البحر؟ ومن حيرة العدو إلى حيرة النساء التي لم تتبرأ من مثل هذه الأحاسيس حيث قال :

أرى رجلا واقفا بين قلبي وامراتي

ولكنني لا أراه

لأقتله أو لأقتلها، بيد أنني أراه

يقر المخاطب في هذا المقطع عن الخيانة التي يحس بها مع امرأته، حيث يشعر دوماً برجل واقف بينهما يتعسر عليه رؤيته لكن حيرته لا تكمن هنا بل تكمن حين اكتشاف هذا هذا العاشق أ يقتله لأنه حاضر في كل سهرة وفي كل ليلة أم يقتلها للجرم الذي ارتكبه؟ ويواصل الدكتاتور حديثه عن النساء وهو محتار حول كيفية تجنب خيانتهم وهذا في قوله:

ففي أي بئر نخبي زوجاتنا

وفي أي غاب؟

وفي وسعهن ملاقاتة أي هلال

ينام على غيمة أو سراب

لقد استعمل الدكتاتور الصيغة الاستفهامية "كيف" كمحاولة للقضاء على الخيانة التي تجري في عروق النساء بدل الدماء، لأنهن قادرات على كل معصية فيما تضمنه كلامه الآتي:

فكيف أحرر اجساد زوجاتنا

من أصابع غيري؟

تعددت هذه الصيغة في قوله :

وما أبعد الناس عن ملكوت النساء

فكيف أحل سؤال النساء؟

وكيف أحرركم من دهاء النساء؟

فطنة وذكاء النساء ودهاءهن دفعن بالمخاطب إلى طرح كل هذه الإشكالات بغية حل لغزهن باستعمال الفعلين الدالان على الحيرة من المنظور التداولي (أهل-أحرر) بصيغة استفهامية بإضافة الأداة الدالة على ذلك "كيف"، ومن الحيرة إلى اليأس والإحباط وهذا في قوله :

تعبت ...ولو أستطيع جمعت النساء

واحدة...واسترحت

بعد الحيرة التي تملكته يعلن الآن استسلامه وضعفه أمام المرأة التي أتعبه التفكير حول إيجاد الطرق للتغلب على فطنتها، فاختر من اليأس والإحباط ملجأ له، موصلاً ذلك الشعور الذي يملكه من خلال البعد التداولي للفعل "تعبت" ليدل بوضوح تام على الحالة النفسية التي أرهقت الدكتاتور .

5/: الأفعال الإخبارية

تتميز هذه الفئة من الأفعال بأنها لا تقيم تمييزاً بين محتواها القضوي والإنجازي، إذ يقترب أو يتطابق مضمونها مع الواقع خاصة إذا ارتبطت بشروط نجاحها أو بحضور المؤسسات المؤطرة للفعل الإنجازي. "التداوليات، علم استعمال اللغة ص: 116"

وقد وردت هذه الأفعال في لمقاطع الخطابية، لأن الشاعر في صدد فضح وكشف كل الخبايا السياسية وما ترمي له من أهداف تخالف تماماً المبادئ التي وضعت على أساسها، مناقضة لتلك الظروف التي اختيرت من أجلها تلك الآمال والأحلام التي وضعها العدو، ليتخذ محمود درويش من هذه الأفعال وسيلة للإخبار عن وقائع مضت مدمرة بذلك كل الجهود التي بذلها المواطنون في سبيل الحصول على الحرية، لتقيده من جديد وبشكل واسع وكبير ويبرز هذا من خلال الكشف عن لمعاهدات والاتفاقيات السياسية بين المستعمر ورؤساء البلدان ومن أبرزها المعاهدة التي أبرمتها إسرائيل مع الرئيس المصري السابق "حسين مبارك" للحصول على صحراء سيناء، على الرغم من كونها المنبع الأساسي الذي يتخذه العرب أداة لنقل المساعدات والإمدادات إلى المتضررين من أهال الحروب والإنفجارات. ولم يكتف بهم الأمر إلى سيناء ليمتد الطمع بالعدو، والخوف واللامبالاة بالسياسيين إلى الظفر برأس الهول وأنهار لبنان ومرتفعات الشام، وهذا ابتغاء تضيق الحصار أكثر على الأراضي الفلسطينية وتظهر هذه الاتفاقيات بوضوح في قوله:

يريدون أطراف سيناء؟ أهلاً وسهلاً

يريدون رأس أبي الهول؟ هذا المراوغ

في الوقت؟ أهلاً وسهلاً

يريدون مرتفعات الهجوم على الشام؟

أهلاً وسهلاً

يريدون أنهار لبنان؟ أهلاً وسهلاً

من الإخبار عن الوقائع الماضية ينتقل درويش إلى الإخبار عن قيم الحياة الراهنة وعن الفرق بين الاتجاهين الشرقي والغربي، الأول كملجأ للضعفاء والثاني كموطن للأعداء

والأقوياء، ليتسم هذا الأخير بكل مظاهر الحياة الراقية من رامبو وشامبو وكوكا وجينز والديسكو والسرك وحرية الحيوان... كدليل على النمط البرجوازي. في حين يظل الشرق يعاني من هول الحروب وفساد النظام وركود التطور وتخلف للتنمية. ويتضح هذا في قوله:

في الشرق حزب النظام الحديدي، في

الشرق تنمية للنمط

ولا شيء في السوق غير الخطط

وهل نحن غرب، وفي الغرب أعاوننا ينشرون اللغظ

عن الحاكم العربي، وفي الغرب رامبو وشامبو وكوكا

وجينز وكنز وديسكو وسيرك وحرية للقطط

كما انتقل بهذه الأفعال إلى تفسير مفهوم السياسة التي تعللت بها الشعوب كلما أظهرت أن أعمالها غير معقولة، فلا تجد سبيلا إلى التخلص من حرج مركزها، إلا القول بأن السياسة كلفظ ومعنى تقتضي التدبير والمهارة والتضحية بالنفس والصبر على أعباءها. أما ما أراد درويش الإخبار عنه أن السياسة تسوس الناس وتخدعهم بلجوءها إلى وسائل لا يقبلها العقل العادي، متنافرة مع البداهة لتتخذ من الأعمال التافهة قضية تعمل على تحقيقها فتصعب سيرورتها وقدرة الإنسان العادي على تحمل صداها. وتظهر هذه المنجزات أكثر في قوله:

في كل يوم أعد لكم مؤتمرا

من منكم يستطيع الجلوس ثلاثين

عاما على مقعد واحد

خلاصة القول ومن خلال تطبيق هذه النظرية على الأفعال الكلامية التي استعملها الدكاتاتور في أبيات خطبه الدكاتاتورية تبين لي ما يلي:

* أن الأفعال الكلامية في دراسة اللغة تمثل مصدرا ثريا يمكن أن يغني البحث اللغوي في نواح متعددة، خاصة وأن الهدف من كل حوار أو سلسلة كلامية هو معرفة مقاصد المتكلم دون أي لبس في فهم نواياه.

* دور هذه الأفعال الفعال في صنع الخطاب وتشكيله لغويا، خاصة باقترانها مع السياق واستحضاره بعناصره المكونة له، كمتعم لها لبيان ظاهرتي التأديب والتسلط اللتان أغفلتهما الدراسات العربية، على الرغم من أهميتهما القصوى في التفاعل اللغوي. *الكشف بفضلها عن أهم المعايير الخارجة عن الخطاب، والتي تعد جزءا مكونا فيه، باعتبارها عناصر سياقية بوجه أو بآخر، وهو المعيار الاجتماعي انطلاقا من بيان العلاقة بين طرفي الخطاب - المرسل والمرسل إليه-

* جسد الملقى من خلال هذه الأفعال بعض الأعمال الذي هو بصدد إنجازها في المستقبل، مستعملا أساليب الأوامر والتحذير لأنها تمارس ضغوطا على المتلقي فتجعله يرضخ لنواميسه، نظرا للطابع التهديدي الذي اكتست به. ليثبت محمود من خلالها صورة الظلم والبطش التي يتسم بها كل الحكام والأمراء.

* أن الأفعال الإلتزامية كانت حاضرة وبقوة في هذا الخطاب لتجسد أطماع المنتخب السياسي فيما يدعو إلى الاعتقاد به، ليوهم المتلقي بجملة من الوعود والعواطف الزائفة لتضليله وتخطئته، كما كان للأفعال التعبيرية دورا كبيرا في صيانة وجه الحاكم، بإظهار جانبها من الرق والعطف والحنان والضعف من خلال الشكوى والعتاب والحيرة، لتكون علامات دالة على تأديبه حتى يشعر المرسل إليه بالانتعاش لإحساسه بالتساوي معه، فهو بوجه أو بآخر يبتغي أن يظهر تضامنه وإياه أما إذا أراد أن يرفع الكلفة بينهما كأمور ومأمور استعمل الأفعال الطلبية.

ثالثًا:

الحجاج

تمهيد

إذا كان كل كلام يسعى إلى إيضاح مطلوب، لا بد أن يكون مؤلفاً من جزأين أساسيين هما الدعوى من جهة والدليل عليها من جهة أخرى-وخير دليل على ذلك ما جاء في معناه اللغوي في لسان العرب كقولنا حاجته أحاجه، حجاجاً، حتى حججته بالحجج التي أدليت بها-

"ابن منظور لسان العرب ص:779"

من أجل إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لدى المرسل إليه، ولتحقيق هذا الهدف لا بد له من إستراتيجية تداولية تعرف بإستراتيجية "الإقناع" يستعملها المخاطب لتحقيق أهدافه النفعية. وهذا ما يعرف بالحجاج وهو آلية خطابية يمارسها المرسل مع الآخرين دفاعاً عن أفكاره ومعتقداته عارضاً أو منفذاً محاوراً أو مقنعاً يبرر به صاحبه أنماط أفعاله بالحجة والبرهان بشكل طبيعي أو عبر شبكة من الأقوال أو التعبيرات الحاملة لصور حجاجية، وبهذا المعنى يكون الحجاج ممارسة نفسية منطقية مندرجة في ثقافة معينة... ويتم إعدادها من أجل التفاعل مع الممارسة النفسية والمنطقية للشركاء المعنيين، فلا يكون الحجاج جيداً ومستوفياً لكل معالمه إلا إذا نجح هذا. أما مسألة درجته ونوعه الفكري وصولاً إلى مصداقيته فهي المسألة التي نحن بصدد دراستها وإيضاح معالمها، لأن هذا ما يثبتته السياسيون لنا في جل الخطابات التي تلقى على الشعوب والتي يستعمل فيها مختلف الطرائق التي من شأنها أن تدعم الطاقة الحجاجية في القول وتعضده في سعيه الحثيث نحو غاية ينشدها. وقد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمناع فيكون إذ ذاك أقدر على التأثير في المخاطب وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمناع من قوة في استحضار الأشياء، وإذا اقتنع الغير بهذا الرأي كان كالمقاتل به في الحكم، وإذا لم يقتنع به رده إلى قائله مطلعاً إياه على رأي غيره ومطالباً إياه مشاركته القول به كما يجدر بنا الإشارة أن المرسل إليه ليس حاضراً دوماً أثناء إلقاء الخطاب بل قد يكون أيضاً ذهنياً لا ينتظر الملقى منه ردة فعل كالخطاب الشعري، الذي نحن بصدد تطبيق آليات هذا النمط الحجاجي على كل جزء من مقاطعه، خاصة وأنه جاء بلسان دكتاتور في سياق سخرية من الحكام والأمراء والسياسيين.

1/الأدوات الحجاجية:

ونعني بها تأكيد المتكلم لكلامه بواسطة أداة أو أكثر بهدف التأثير في المتلقي السامع أو القارئ، وإقناعه بصحة مذهبه ورأيه ووجهة نظره في قضية ما، وفي طرحه الـ الذي يتبناه. "نوارى سعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الإجماعي ص: 96"

ومن أبرز الأدوات التي تعددت في مقاطع الخطب الدكتاتورية :

1-1 "كي"

تعد كي من ألفاظ التعليل التي يستعملها المرسل لإقناع المجتمع عامة، بل هي من أهمها إضافة إلى كونها أداة ناصبة للفعل المضارع فهي تحمل في طياتها من الناحية التداولية الحجة والبرهان، لإثبات ما ذهب إليه أو ما أراد أن يتبناه. ومن أهم المقاطع التي وردت فيها:

وإن كان لا بد من موتنا فاسبقوني

إلى الموت كي تحملوني وتستقبلوني

في هذه الأبيات المستدل يتعاطى لتقويم دليله، بإقامة حوار خيالي بينه وبين شعبه مراعيًا فيه كل مستلزماته السلطوية، فها هنا لا يكتف المستدل بسيادة البلد في حياته ولم يكتف بكل مظاهر الرفاهية التي عاشها، ليطلب من شعبه الموت قبل أو ان أجله لماذا هذا الطلب؟ كي يحملوه ويستقبلوه على حد قوله لأنه عازم على مواصلة الحكم حكم الميت على الأموات؟ وقد تعددت هذه الأداة في الكثير من الأبيات نذكر منها قوله :

أقسامكم ما وهبت من المعجزات ... وأذرف

ظلي

عليكم لكي يتساوى الجميع بظلمي وعدلي

لقد أدت هذه الأداة وهي مقترنة ب"اللام" كدعوة معبرة عن صدق الحب، معاضدة لما يسوقه الدكتاتور من حجج يستدل بها على قوة العاطفة اتجاه شعبه، والحاجة إلى تطبيق مبدأ المساواة في تنفيذ القوانين، بل على جدارته في تسيير شؤون بلاده. ليحمل المقطع من خلال هذه الأداة طاقة إقناعية هامة حملت من الود والرفق والاعتدال في النظام ما يؤثر على كل مستمع. هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فقد وظف هذه الأداة للتأكيد على ظلمه وجبروته

لأن هذه الأبيات جاءت كتهديد منه بتسليط ظلمه على كل عاص له. وقد تعدد ورود هذه الأداة في مثل هذا السياق، فحملت هذا المعنى في قوله:

ولا تدخلوا في الكناية كي لا نزل الطريق

.....ونفقد كنز التراب

إذا نظرنا في هذه الأبيات دون تعمق في المعنى الذي أراده محمود درويش، نحسب أنه نصح وإرشاد من رئيس إلى شعبه لكن داخل هذه الأبيات تهديد واضح صريح كـي لا يسرف الشعراء في الكلام لأن اللفظة الواحدة تفيض بالمعاني التي تعبر عن معاناتهم فما بالك للتمثيل من تشبيه وكناية واستعارة واسترسال الكلام وهذا ليثير الخوف في نفوس قومه ليتجنبوا بذلك خطر العقاب. كما كان لهذه الأداة أيضا دورا كبيرا في إبراز الشخصية الضعيفة والمسالمة للدكتاتور وهذا في قوله:

كي لا يفروا من السلم... ماذا يريدون؟

ماذا يريدون؟ كل فلسطين؟

أهلا وسهلا

على هذا النحو ينتهي بنا الأمر إلى أمر هام جدا وهو قدرة هذه الأداة على مساندة الدكتاتور في سعيه إلى الإقناع والحمل على الإذعان وتحريك الوجدان وإحداث ما ينشده المتكلم تحقيقه في المتلقي من انفعال لأنه يلعب على أوتاره الدقيقة كونه في حاجة ماسة إلى الأمان والتخلص من كل أنواع العذاب، وما يوضح هذه الفكرة دعوته إلى السلم وحاجته إليه ولو على حساب تسليم أرضه إلى العدو، أما بالنسبة لدرويش فقد أراد أن يبرز وجه الهزيمة دون غيره من الوجوه الذي لا طالما لازمه وتلبس به. ومن أجل أن يرتفع وينهض بسلم بلاده ويغير النظام السائد فيها نحو ما هو أفضل احتاج إلى توظيف هذه الأداة ليحتج من خلالها على جملة من القوانين التي سيرسيها على أفراد أمته وسنرى هذا في قوله:

إذا أردتم نظاما جديدا لمنع المفتن

إذن

سأختار شعبي، وسأختاركم واحدا، واحدا

كي تكونوا جديرين بي... وأكون جديرا بكم

أهم ما في هذا المقطع أن المتكلم قد استعمل الأداة الحجاجية لغايتين مختلفتين، تتمثل الأولى في ضرورة حمل شعبه للفظة الجدارية بكل ما تحمله من معنى ظاهري بطاعته وتنفيذ أوامره، وباطنيا بالرضوخ لمطامع العدو والتخلي عن حقه في العيش بسلام فـي أرضه، ليديم أقواله ويثبت معانيها. فالسياق فخري احتاج إلى إيراده لإقناع قومه بصدق ما يغدقه من صفات وفضائل ليشاركونه الرأي مثلما احتاج درويش لهذه الأداة لتلاءم سياق السخرية الذي ساعده في ترجمة ضعف المنتخبين السياسيين الطامعين في استلام العرش.

1-2 "لنا"

مادام التحاور يرتكز على النموذجين التبليغي والتفاعلي لزم أن يتسع لصور وأساليب استدلالية. "ظه عبد الرحمان في أصول الحوار وتحديد علم الكلام 46". فقد لعبت هذه الأداة دورا كبيرا في إقامة هذا المبدأ بين الدكتاتور وشعبه من جهة وبين درويش والمستمعين من جهة أخرى وأهم الحجج التي جاءت بها هذه الأداة قولـه:

ألا فاجلدوهن قبل الأوان

واجلوهن في الصبح جلدة

"لنا" يوسوس فيهن شيطانهن

في هذه الأبيات دعوة إلى عدم الرفق بالمرأة والإشفاق عليها، وقد لعب الفعل الأمرى المتمثل في "الجلد" دورا كبيرا في إبراز هذه الدعوة، ومرد استعمال هذه القسوة اتجاه النساء سطوة الخيانة وسلطانها في نفوس الأزواج، كما تبرز لنا هذه الأبيات جانباً من شخصية الجبروت الظالم التي يتسم بها كل الحكام، لأن الخطاب موجه إلى كل ضحية من الرجال يطالبهم فيها بتطبيق العدل والإنصاف جاعلا من ذلك العدل شرطا ضروريا لتطبيق العقاب عليهن للجريمة التي ارتكبتها دون أي حياء. لتبرز القيمة الحجاجية لهذا الدليل بتوجيه كل امرأة إلى تجنب هذه التصرفات خوفا من هول العذاب، كما استعمل درويش هذه الأداة كحجة واهية توهم المتلقي بشخصيته الصالحة التي تتخذ من النصح والإرشاد وسيلة لإبرازها والتي تظهر في قوله:

فلا حق في دولتي للتجمع حيا أو ميتا

"لئلا" يثير الفساد

تعتبر كلمة "الفساد" مؤشر حجاجي استدعاه الشاعر باعتباره مرتبطا ارتباطا وثيقا بما سبقه من عمل في البيت الأول، والمتمثل في التجمع بين أفراد البلد، لأن هذه الظاهرة الأخيرة تقود إلى تبادل الأفكار والآراء التي ينجم عنها التوصل إلى أفكار من الممكن أن تحمل في طياتها حولا من أجل إيقاف سلسلة الجرائم الاستعمارية. فقد قدم الشاعر هذا اللفظ حجة يثبت فيها موقفه الرفض ويدعم به رأيه وقد أحسن الاختيار، لأن ما تحمله هذه الكلمة من معنى بعيد كل البعد عما يرمي إليه الشعب الفلسطيني كون الفساد آخر الأمور التي يود أن تثار لأنه في غنى عنها. "وهنا يتضح لنا أن الدليل قد يأتي بمعنى القوة الوازنة حيث يطلب صاحب البرهان أو الحجة إقناع الغير سالكا في ذلك مسالك تجلب رضا الغير، بينما صاحب السلطان قد تكتسي مسالكه في الإقناع صبغة الإكراه والقمع"، "ظه عبد الرحمان اللسان والميزان ص: 132"

كما لعبت هذه الأداة في إبراز الحجج الواهية التي يقدمها محمود على لسان الحاكم في قوله:

لا حق للحي أن يرث الميت إلا إذا

أثبت الميت أن الذي كان حيا هو الميت فيه

"لئلا" يطالب الدود بالآخرة

الواقع أن الحجاج اعتمادا على الوهم والسخرية لا يبتعد كثيرا عما حاولنا إبرازه في الفصول السابقة من سياسة الزيف في إظهار روح التضامن بين الحاكم ورعيته فهذا النوع من الدليل ضرب من ضروب إبراز تلك الإستراتيجية التضامنية، ومن هنا يتضح لنا أنه أنسب المجالات لتوظيفه بغية توجيه المتلقي إلى سلوك معين وقيادته نحو دعمه لموقفه، الداعي إلى إبعاد شعبه على الدنو من ميراثه إن مات. ليضع لنا درويش الصورة بين أيدينا والمتمثلة في القدرة السياسية وما تعنيه من قوة وجبروت وما تقتضيه من بطش وظلم وإبراز روح التملك التي تسري في عروق الحكام والأمراء الذين يرفضون التخلي عن كل ما كسبوه على حساب دماء الشهداء من أموال وممتلكات حتى وإن حان أجلهم .

ولكي يقوي الدكتاتور قدرته الإقناعية ويدعم طاقة نموذجه الحجاجية، في حرمان الشعب من حرية التكلم والتعبير عن آرائهم، وظف هذه الأداة ليؤكد بوضوح تام على وجهة نظره اتجاه هذه الوسائل الدفاعية الظاهرة في قوله:

فلا تسرفن في الكلام "لئلا" تبدد سلطة هذا

الكلام

إشفاق الحاكم على شعبه انقلب إلى جزع، لأنه يخشى من العدو فيرفض المساس به حتى بالألفاظ والعبارات، إنه قتل و تدمير لغريزة الانتقام في نفوس الكتاب والشعراء. ظاهر هذه الأبيات نصح وإرشاد كون الكلام لا معنى له ولا طائل يرجى من وراءه إلا الموت و العذاب، لكن باطن هذه الحجج يمكن وببسر تعميمه استنادا إلى غاية درويش في السخرية من السياسيين وإبراز ضعفهم هذا من جهة، ومن ناحية أخرى اتخذ هذا الأخير هذه الدليل والبرهان لإثبات قيمة هذه الشعارات والتهافتات -التي يدعوهم الدكتاتور عن التخلي عنها في فتح الأبواب على قضيتهم نحو كل الأقطاب العربية والعالمية، وهي صورة خفية شكلت نسيج النص الداخلي لتفعل في المتلقي نوعا من الرغبة وعدم الاستسلام رغم غيباب المرسل الحقيقي وراء الستار الخارجي للخطاب.

3/1: "لأن"

تعد هذه الأداة من ألفاظ التعليل التي يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها، فتستعمل لتبرير الفعل كما تستعمل لتبرير عدمه. "استراتيجيات الخطاب ص: 478". وقد استعملها الدكتاتور في قوله:

دعوا الأرض بورا، لأن الفلاحة عار

القدامى

إذ يرمي في هذا الخطاب إلى إقناع المرسل إليه وهو الطبقة الوسطى من طبقات المجتمع الاجتماعية، "طبقة الفلاحين" بالسبب أو الدليل على وجوب تخليهم عن هذه المهنة "مهنة الزراعة" من خلال ما تحمله لفظة بور من معنى، ومن الرموز التي استدعاها الشاعر في خطابه الحجاجي لفظة "العار" باعتبارها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمظاهر التخلف والركود،

لأنه إذا ما أراد أحدهم الإقناع بضرورة التخلي عن شيء متأصل فيه ولا طالما مارسه آباءه و أجداده على مر السنين، لا بد من ذكر عيوبه، و يتمثل عيب الفلاحة في هذا المقطع فيما تحمله من وصم عار في الاقتصاد، كمظهر من مظاهر الركود لأن السائد أن كل دولة — صناعية دولة متطورة وكل من اعتمدت الفلاحة مصدر رزق لها دولة نامية متخلفة لا تمد للحضارة بصلة . وفي هذا الصدد يجدر الإشارة بنا أن الرابط السببي "لأن" يمكن أن يستعمل في الحجاج بغض النظر عن فعل الكلام المنجز، فقد يكون في الإثبات كما قد يكون في النفي مثل قوله:

ولكنني لا أريد السلم

لأن السلام المقام على الفرق بين العدوان-الظلم-

وإن السلام المقام على الظلم ظلم

وإن السلام المقام على الاعتراف بغيري ظلم

لقد استعمل الدكتاتور هذه الأداة ليبرر بها الأسباب التي دفعته إلى حاجته أحيانا إلى إضرار الحرب وعدم الجنج للسلام معتمدا على صياغة فنية محكمة فأول سبب الفرق الذي يحدثه بين الدولتين باعتبار المسالم عبدا للمسالمة له وهي حقيقة من حقائق القوة كـ الضعيف دائما من نصيب القوي، فليس في الحياة حقيقة أجلي وأسمى منها كونها الوحيدة التي تمنحنا مشروعية الوجود الإنساني الحق، إنها حقيقة راسخة في ضمير التاريخ والسبب الأول يكون بدوره أحد الأسباب الرئيسية التي تقودنا إلى الحقيقة الثانية التي أراد أن يصورها الدكتاتور، وهي كل سلام مبني على الظلم ظلم بدوره كونه رافض بكل ما للكلمة من معنى على الاعتراف بغيره. ومن سياق الشجاعة إلى سياق آخر تمثل في قوله:

أمنع منكم عصير الشعير...

"لأن" الشعير طعام الحمير وأنتم أرايب

قلبي

...كلوا ما تشاؤون من بصل أخضر أو جزر

إن باطن هذه الأبيات يقود إلى نتيجة واحدة مروعة وهي مأساة العبد الفلسطيني وقناتمة مصيره، وما قدمه الدكتاتور من حجج ارتبطت جميعها بهذه النتيجة التي يقودنا إلى حتمية

الفقر والجوع التي يعيشها واستحالة القضاء على الأحوال المزرية، في هذا المقطع صرح الحاكم على ضعفه أمام العدو معتمداً في ذلك على علاقة تنابعية لا على مستوى الألفاظ والعبارات بل على مستوى الأفكار والأحكام، فنشأت بين الأبيات وحدة خفية تمثلت في ربط كل حكم بالسبب الذي ساهم في تحصيله فتمثل الحكم الأول في حظر الجائع عن تناول الشعير لما؟ ليصنع منه الخمر للطبقة الراقية طبقة المستعمرين، أما الحكم الثاني فقد تمثل في توزيع البصل والجزر على أبناء قومه ليجسد صورة الحب والود والحنان بينهما خاصة بإطلاق صفة الأرانب عليهم، لتقريب المسافة أكثر، وصفة الحمير على شارب عصير الشعير لتعميق الهوة بينه وبين عدوه، وهو أمر تحتّمه الظروف وتقتضيه العلاقات بالآخرين وأساليب التعامل معهم، باتخاذ كل الوسائل والتدابير اللازمة للتغطية عما ارتكبه من أعمال وحشية ضده .

4/1: "اللام"

من الناحية التداولية أداة للتعليل لا محل لها من الإعراب، أما من الناحية التداولية تحمل في طياتها حجة وتعليل وبرهان ودليل لإثبات موقف أو رأي أو مذهب، وبما أن الخطاب جاء بلسان دكتاتور في صدد تغيير نظام بلاده فقد ترددت هذه الأداة في مختلف المقاطع الخطابية منها قوله:

فلا بد من نصف سلم

ولا بد من نصف حرب

لأخفظ شعبي

وأحفظ حكومي

هذه الأبيات تصور بدقة التضحيات المزيفة التي يقوم بها الدكتاتور في سبيل البقاء على كرسي العرش وتولي حكم البلاد، فهذه الحجة صاغها محمود لإثبات القضية التي أراد إيصالها إلى كل قارئ أو مستمع، فطريقة الاستدلال مثيرة ومأتى الإثارة فيها أن الشاعر قد قدم حجج واهية بلسان الدكتاتور ليقنع القراء بضعفهم وهي نقطة قوة كونه لم يذلل أبياته بحجج مباشرة تدل على فسق الأعمال الدكتاتورية، فكانت شخصية الشاعر مخفية داخل

نسيج النص الداخلي لكنها فعلت في المتلقي رغم الغياب وأثرت في عالمه رغم الخفاء و عليه على المحتج إذا أراد تبرير آراءه وإثبات مواقفه أن يعتمد قيما يكون قد انتقاها بدقة لتلاءم أهدافه الحجاجية وغايات خطابه المنشودة، والتي تتمثل في هذا المقطع من رصد الأنانية التي تعتمر قلوب الأمراء والحكام، الهادفة إلى إضرار بعض الحروب الصغيرة ليس من أجل الوقوف في وجه العدو والحد من أعماله الإرهابية، إنما لتجعل منه مفخرة أمام رعياه. وقد تعددت هذه الأداة لإثبات العديد من المواقف التي ذهب إليها درويش نذكر منها قوله:

فمن واجبي أن أعيش

ومن حقكم أن تموتوا

لأنجب جيلا جديدا يواصل أحلامكم

لقد احتج الدكتاتور على أحقيته في العيش فيما ذهب إليه من إلزامية موت شعبه الذي دلت عليه " واو الجماعة " المقترنة بالفعل المضارع، لقد رته على إنجاب جيلا جديدا يأخذ مكانه ويواصل أحلامه، فينطلق من أفكاره ويجهد في سبيل تحقيقها. وما أراد درويش رفع الستار عنه في هذه الأبيات ما وصفه بالحلم وهو الاستقلال لأنه من الأمور المستعصية البعيدة المنال خاصة مع كذا حكام، لتكون باطن هذه الأبيات استدلال على ضعف الحكام وتقصيرهم لواجباتهم نحو شعوبهم. وقد وظف الدكتاتور نفس الأداة لإثبات كل التدابير والتوجهات التي استعان بها من أجل تحقيق السلام لتكون كالتالي :

سأقضي على الذكريات

سألغي احتفالات يوم الشهيد لننسى

سأحرق مقبرة الشهداء الحزينة

وأرفع منها العظام لتدفن في غير هذا المكان

جسد لنا درويش من خلال جملة الحجج الواهية التي قدمها الدكتاتور صورة اللامبالاة وعدم الانتماء التي تتم عن كل حاكم، هذا الأخير الذي توصل به الأمر إلى محو كل ذكرى أليمة من عقولهم بإلغاء احتفالات يوم الشهيد، والحجة فيها نسيان كل القساوة والمرارة التي عانتها الشعوب المستعمرة. ومن هذه التدبير أيضا العبث بالقبور وإخراج ما فيها من عظام

لتدفن في مكان آخر بعيدا عن الموطن الذي ضحت بحياتها من أجله. كما كان لهذه الأداة دورا كبيرا في تبرير الطرق التي سار فيها الدكتاتور للنهوض بالاقتصاد في بلاده وهذا في قوله:

قطعت الشجر

والغيت بؤس الزراعة

لأستورد الثمر الأجنبي

بنصف التكاليف

بناء على ما تقدم من أبيات نصل إلى فكرة هامة وهي ظاهرة الخيانة، خيانة الرئيس لأفراد بلده، والتي تبرز في هذا المقطع من خلال جملة الوسائل التي اتخذها لتدمير شعبه، بالقضاء على أهم الموارد التي يسترزق منها لقمة عيشه ليظل النظام الاقتصادي قاصر متكلا على غيره في الحصول على مأواه، لتكون هذه الحجج ساخرة من أفكاره وتطلعاته هذه التطلعات المدمرة الهادفة إلى إرضاخه للعدو الإسرائيلي، زاعما أن هذه الوسائل هي التي تجعله يخرج من نمط المجاعة، ليرتقي في سلم التطور ويواكب الدول المتطورة.

2/ أفاظ التعليل:

تعد أفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه فيه، منها المفعول لأجله، كلمة السبب، عندئذ..... "استراتيجيات الخطاب ص: 488"

***2-1 المفعول لأجله:** من المنظور النحوي يرد في الجملة بوصفه المصدر الذي يبين علة ما قبله أما من الناحية التداولية يأتي بوصفه إثباتا لحجة أو برهان أو دليل على ما قيل سابقا مهما يكن وجه وروده وسنرى هذا في قوله:

من أجل هذا السلام أعيد الجنود

من الثكنات إلى العاصمة

وأجعلهم شرطة للدفاع عن الأمن ضد

الرعاع وضد الجياع

في هذا المقطع ينبغي أن نشير إلى أمر هام جدا، وهو أن الحجة لا تأتي بعد السبب في معظم الحالات لأن صاحبها قد يوردها أولا من أجل تأكيد الفكرة المتجه إليها أو الموقف الداعي له لتظل راسخة في أذان المستمعين، وهي إستراتيجية في عملية تنظيم عملي يخضع لها المتكلم خطابه راصدا بواسطتها هذا التغيير في الترتيب. وهذا الحرص من الدكتاتور بتقديم البرهان أو الدليل الذي جعله يأمر جنوده بالانسحاب، لتمثل هذه الحجة في إرساء معالم السلام لتدعم بذلك طاقة النص الحجاجية، وقد ترددت ورود هذه الآلية في قوله:

ومن أجل أن ينهض العدل فوق الذكاء

المعاصر

لا بد من برلمان جديد ومن أسئلة

من الشعب يا شعب... هل كل كائن يسمى

مواطن

فهو في صدد بناء مجتمع راق خال من كل مظاهر الجهل والامية والفقر والمجاعة والحرمان، يعج بكل ما يمد للحضارة من صلة. فلأن الدكتاتور مطالب بمواكبة هذا التطور

فور استلامه للمنصب، فقد قدم الحجة على السبب لإرساء العدل وتطبيق قوانينه على كل مواطن على حد قوله إن لا بد من تغيير البرلمان ليسمى الأول دليلاً أو برهاناً بينما الثاني سبباً أو الداعي لبناء الحجة، وهذه الآلية تعد رافداً هاماً لعملية الإقناع وتأكيد الخطى التي اتجه المرسل إليه نحوها لتأكيد آراءه وتوجهاته. وقد تعددت هذه الألفاظ في مقطع واحد من أجل إثبات القيمة الحجاجية التي تحملها هذه الأبيات والتي تظهر في قولـه:

إذا قدر الحزب للشعب أن يحمل الدرب فكرة

وأن يرفع الأرض أعلى من الأرض فكرة

وأن يفصل الوعي عن واقع الوعي " من أجل"

فكرة

"فعدنذ" يصبح الشعب جديراً بحزب وثورة

كذلك الأمر متى أراد الدكاتور أن يثبت موقفه ودرويش أن يبرهن على ضعف الحجج التي يقدمها الحاكم للتأثير في شعبه، إذ قدم هذه البراهين الواهية للسخرية من أفكاره واتجاهاته. فالشاعر المقنن فقط قادر على إنتاج ظروف قول مخصوصة بينه كبات وبين المستمع كمتلقي، عن طريق انتقاء حجج دقيقة تلاءم هذا السياق الساخر، بحيث يكون على علم بظروف المتلقي لكي ينسجم مع ظروف القول وملابساته، فكلما كانت وسائل الاستمالة والتأثير التي ترفد الحجج والعلاقات الحجاجية على قدر كبير من الاختيار كلما ضمن للخطاب تحقيق غايته وجر المتلقي إلى موافقته الرأي ودعم أفكاره وآراءه، ثم يقدم أخيراً بواسطة اللفظ التعليلي "عندئذ" النتيجة التي يتحصل عليها الشعب إذا طبق ما دعاه إليه، وهذا لقيادته نحو تبني آراء الأحزاب وأفكارها، ومنه فهذه الألفاظ التعليلية لا تنحصر أدوارها في تركيب الجمل تركيباً نحويًا صحيحاً أو دلاليًا مؤدياً لمعناه، بل لها دوراً تداولياً أكبر بكثير مما تملكه من صحة النحو والدلالة، ليندرج هذا الدور في إثبات القيم التي تحملها الحجج في آذان المستمعين وجعلهم يتبنون أفكارهم ويدعمون اتجاهاتهم، فلا تقتصر مهمتها في فضاء الشعر على الناحية الموسيقية والإيقاعية، فمتى انتظمت هذه الألفاظ في تراكيب تناسب مقاصد الشاعر وتجانس نتائج القول وغاياته كلما كان الخطاب ناجحاً.

3/ الآليات اللغوية:

من أبرز ما استعمله محمود درويش من آليات لتأكيد ما تلفظ به من أفكار وتوجهات ما يلي:

***3-1 التعارض:** وهو عمل فني يلجأ إليه الشاعر للإقناع والحمل على الإذعان، تفاوت من مقطع إلى آخر ولكنه أكد على كل حال أن الحجاج لا يعني حشد الحجج وربط مفاصل الكلام وتعليق بعضه ببعض الآخر، وهذا مراعاة لأحوال المتلقي لاستحواذ انتباهه في المرة الأولى ثم الفعل فيه في المرحلة الثانية. وسنرى هذا فيما ذهب إليه درويش في هذه الأبيات:

فعمر الرعية في الحب طويل

وعمر الرعية إن كرهتني قصير

هذا التعارض في إرساء العبارات والألفاظ ليس من أجل إضفاء الموسيقى والإيقاع في الشعر فقط، بل غايته تتعدى هذا بكثير لأن كل دكتاتور إذا صعد لمنصة الخطاب لا بد له أن يتحلى بمظهر يجعله جديراً بالثقة حقيقياً بالتصديق، وهذه الثقة تبرز من خلال جملة الخصال التي يتصف بها المخاطب، والتي تظهر في هذا المقطع من خلال ثوب الجبروت تلبسه الحاكم، لأن باطن هذه الأبيات تهديد واضح لكل رافض لنظامه بالحكم عليه بالقتل وإنهاء سيرة حياته. ولقطة "قصير" خير دليل على هذا الحكم، وقد تردد هذا الأسلوب في مختلف المقاطع الخطابية نذكر منها قوله:

فإن كانت الأرض عاقر

فإن القيادة حبلى بما يجعل الأرض خضراء

من روح الظلم والبطش تحلى الشاعر بروح الشجاعة، فهذا المقام مقام حكمة ووعظ وإرشاد وحرص من الشاعر على الظهور بمظهر المخلص الناصح المحفز الذي خبر الحياة وأحداثها وتمرس بالسياسة و دناستها، هذه الأخيرة التي أراد درويش إبرازها من خلال الوعود الزائفة التي يطلقها الخطباء من أفواههم لأنه بهذا لا يخص به المتكلم ذاته المنجزة لهذا الخطاب بل متلقيه المستهلك له، فهو يتجه إليه ليعمد في هذا المقطع إلى بتبر أمانيتهم وتأملاتهم في رؤية ذلك اللون على أراضيهم، وربطها بمقدرة الأحزاب على تحقيقها

وهذا لحملهم على تقديرها والإعلاء من قيمتها وتجنب دحض أفكارها والخروج من حيز المعالم التي وضعتها وحمله على تغيير آراءه إذا كانت مناقضة لها وتعديل سلوكه إذا كان مخالفا لمشاريعها. فهذا التعارض بين الصورتين التي تتمثل أولها في صورة العقم لعجز هذه الأراضي على إخراج خيراتها والثانية صورة الحبل لقدرة الأحزاب على تحقيق ما عجزت الصورة الأولى على تحقيقه، قد أضاف من الناحية التداولية بعدا حجاجيا قيما حول دناءة السياسة ووساقتها. وفي سبيل هاته الأفكار التي تخرج من أفواه هؤلاء الخطباء السياسيين، يلجأ محمود بلسان الدكتاتور إلى إثبات قيمتها ودورها في بناء مستقبل جديد، هذا الدور الفعال الذي يفرض عليهم الموت في سبيل تحقيقها لأن من أنتجها لا دخل له في تنفيذها فهو في غنى عن الأضرار التي تلحق من جراء تطبيقها على أرض الواقع، ليجد الشعب المسكين نفسه في مواجهتها وتحمل أعباءها المهولة من عذاب وألم وحرمان، قد عبر الملقى عن هذا من خلال إدراج أسلوب التعارض بين طرفي الأمومة، فتارة تأخذ الفكرة دور الأم لتكون الثورة وليدتها، وتارة أخرى تأخذ هذا الدور الثورة لتكون الفكرة ثمرتها. ومرد استعمال هذه الآلية كان لامتلاك الأنعام والأسماع فما كان قريبا للسمع كان أقرب للفهم، ليصل المخاطب إلى قلوب المستمعين قبل أن تلج أفكاره ودعواته إلى عقولهم، ليظهر أنهم الضحية دائما وراء كل قضية أو اتجاه، وراء كل مخطط أو ثورة. ويتضح هذا الإرشاد أكثر في قوله:

ولا تسألوا الحزب من أجل أية فكرة

نموت

ومن أجل أية ثورة... نموت

فمن كل فكرة تولد ثورة

ومن كل ثورة ستولد فكرة

سلام عليكم سلام على فكرة

سوف تولد من موت شعب وفكرة

كذلك الأمر متى تغزل بالمرأة ووصف حسننها وصور جمالها فحرك فيها ما يميلها و يستميلها، ومتى خاطب نفسه بما يقنعه بصدق حبها ليصفها بالملكة "شهرزاد" بعدها تتسلل

إلى قلبه وعقله دناءتها لقدرتها على إغراء الرجال وخيانة أزواجها متى سنحت لها الفرصة لتتحول من ملكة إلى خائنة وتظهر هذه الصورة أكثر في قوله:

وفي كل امرأة شهرزاد... وتغلب

وفي كل طاغية شهريار المعذب

هاتان الصفتان بقدر ما هما لفظتان فنيتان كونهما ينطويان على صورتين تجسيديتين لشخصية المرأة الشاعر، لم يخترها عبثاً بل وقع الاختيار عليهما لما تحملانه من معاني وتصورانه من مشاهد ومن دلالة إيحائية، حول تجنب وضع الثقة العمياء في النساء و المحافظة على درجة كبيرة من الشك والظن نحوهن. فقد أحسن الشاعر انتقاءها وأجاد توظيفها.

***3-2 التكرار:** إن الدراسات الدائرة حول الحجاج وأفانينه، تجمع على أهمية الدور الحجاجي الذي يضطلع به أسلوب التكرار أو المعاودة. وهو أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها، ولكنه لا يدرس ضمن الحجج والبراهين وإنما يعد رافداً أساسياً يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى أن التكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثراً جليلاً في المتلقي وتساعد على نحو فعال في إقناعه. ذلك أن التكرار يساعد أولاً على التبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانياً على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردد المحتج لفكرة حجة ما أدركت مراميها وبنات مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي، وإن ردد رابطاً حجاجياً أقام تناغماً بينا بين أجزء الخطاب.

"د، سامية دريدي - الحجاج في الشعر العربي القديم - ص: 168"

ويظهر هذا العمل الفني الذي تعدد بين أبيات الخطب الدكتاتوربية في قوله:

ومن كان يعبد منكم هنا الآخرة

فقد ماتت الآخرة

..ومن كان يعبدني

فإني "حي" ... "وحي" ... "وحي"

تكرار لفظة "حي" فن قولي رافد في عالم الحجاج لما يحمله من طاقة استدلالية لإثبات

برهانه،ولما يوقعه معناه من أثر بليغ على آذان المصغين.ليؤكد من خلال هذا النوع من الأساليب أحقيته في العيش ورفضه للتخلي عن عرشه وميراثه.فهذا اللفظ المكرر ساعد المرسل إليه كثيرا في محاولة الدكتاتور إلى إثبات وجوده واستمرار حكمه لدرجة الخلود. كما نلتمس في هذا التكرار أيضا نوعا من التهديد والذي يتضح أكثر في قوله:—

"...أما من أحد؟"

تقاعس عن خدمتي أو بكى أو جحد

"أما من أحد"...شكا أو كفر

في هذا المقطع نلاحظ أن التكرار لم يلمس لفظة أو اثنتين بل تعدى إلى جملة بكـل عناصرها المكونة لها وهذا يعد من أساليب الحجاج بالترديد من أجل تحقيق الغاية أو التنذير من أمر ما لتجنيبه.وقد عمد الدكتاتور إلى استعمال مثل هذه الوسائل و الأساليب لتخويف أفراد أمتة من العقوبات التي ستنهال على رؤوسهم إن وقع منهم قصور أو تنازلات عن أداء الخدمة أو التضجر من النواميس التي يرسبها الحكام.ومن سياق التخويف إلى سياق يخالفه تماما والذي يظهر في قوله:

فوالله والله...والله لا علم لي

...بمالي عليكم ومالي عليكم "حلال" "حلال"

ما تحمله هذه الكلمة من سحر اللفظ وجمال المعنى له دور كبير في التأثير على المتلقي وإيهامه بما ليس له وجود فعلي،وإغواءه بحسن نواياه وصدق مشاعره الحاملة للكثير من الود والحب اتجاهه،فيضمن بذلك وقوفه إلى صفه.وهذه الآلية فن من أفانين القول والتلاعب بالألفاظ التي يعمد إلى استعمالها كل سياسي والتي تظهر في جل خطباته. ***3-3التذكير:**وهو آلية يعتمد عليها المخاطب من أجل إرساء معالم التضامن بينه وبين المتلقي، حيث يقوم بتذكيره بصور وأعمال يكون كل من المرسل والمرسل إليه على علم بها . ويستعملها المتكلم لظن به أن المخاطب قد غفل عنها،ولأن محمود درويش في سياق السخرية من الحكام والأمراء فقد وظف جملة من الحجج الواهية التي يستعملها الخطباء اليوم للتأثير في مستمعهم أهمها قوله:

ألم أجد الناس جوعى ... فأطعمت

وعارية فكسوت

وتأهية فهديت

وسويت بين المثقف والمرترق

فهي دعوى من الأمير في التفكير بما سواه من إطعام للمساكين وهداية للتائهين وإلغاء لنظام التفريق بين طبقات المجتمع وكسوة للعراة والحفاة. لتعد هذه البراهين أهم الحجج التي يوظفها السياسيون ليبرروا وجودهم وحسن نواياهم وفضلهم الكبير على شعوبهم، ابتغاء رضوان الناس عنهم لأنه من الحكمة ومن المنطق أن تتعقل أنفس السامعين فتستقي من التاريخ الماضي شواهد تحسن صورة الأمير في نظرهم. فهذا الأسلوب التذكيري لا طائل من وراءه إلا ربط الواقع الماضي بالحاضر المستقبل لكسب ثقة الفرد وتعاطفه وإياه. وقد ترددت هذه البراهين داخل هذه الآلية في الكثير من الأبيات نذكر منها قولـــــــــــــــــه:

ألم أبني خمسين سجنا لأحمي اللغة

من الحشرات ومن كل فكر قلق ؟

ألم أخلط الطبقات لألغي نظام التقاليد

والمرجعية والزمن المحترق؟

إن الحجاج بالسلطة مستمد من المكانة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي يتمتع بها المتكلم ولكي يكون سليما ينبغي أن تتوفر فيه خمسة شروط هي أولا أن ندرك الحجة إدراكا سليما، أن تكون للسلطة كفاءة حقيقية، أن يتعلق رأي المتكلم بمجال كفاءة كفاءـــــــــــــــــه المخصوصة، وأخيرا أن تتوفر تقنية وفاق ضرورية للبحث في الخلافات بين سلطتين أو أكثر

مشهود هما بنفس الكفاءة. د محمد سالم "الحجاج في البلاغة العربية ص: 200 "

فلم يكتف الأمير بتذكير الناس بالأعمال الصالحة التي أرساها في بلده لينتقل هذه المرة إلى الأعمال الوحشية والأضرار الناتجة عنها الملحقة بأفراد شعبه، رغبة منه على الحفاظ على طابع الهيبة والجبروت بينه وبين المتلقي لتظل سلطته عليه قائمة وشخصيته قوية وثابتة ليوجه هذا التهديد بالدرجة الأولى إلى كل من استعمل الحرف أو الكلمة للوقوف في وجهه

العدو والتصدي له. فحتى وإن كانت أضعف الوسائل فإن عقوبتها وخيمة جدا تتمثل على حد قوله بالأسر، فهذا هو الحجاج بالسلطة. "ولكن بعض الدارسين لا يعتبرون حجة السلطة حجة باعتبارها على أي استنتاج عقلي يؤدي إلى النتيجة ولكن على إثبات النتيجة بموجب أن فلانا - وهو سلطة ما قالها". "سامية الدريدي الحسني دراسات في الحجاج ص: 163"

***3-4 التفصيل:** ينص هذا الصنف من الحجاج على تقسيم الكل إلى أجزاءه المكونة له وبيان أن حكما ما ينطبق على كل جزء من أجزاءه ينطبق تبعا لذلك على الكل.

"الحجاج في الشعر العربي القديم ص: 207 "

ومن أمثلة ورود هذا الصنف في أبيات الخطب الدكتاتوروية قوله:

فلنؤم إذن كل أشجارنا الجائعة

وكل نباتاتنا الضائعة

ثمانين نخلة

وتسعين تينة

وعشرية زيتونة

وألف وسبعين فجلة

في هذا المقطع يأخذ الدكتاتور منحى آخر في دعوته عن التخلي عن الفلاحة والزراعة وتقليد الغرب في تنمية الصناعة، مستعملا بذلك أسلوب التفصيل للتأكيد على فشل هذا النظام لأن الداحض لفكرة أو موقف ما عليه أن يأتي بالأدلة والبراهين التي تثبت صحة ما توجه إليه، لإثبات ضعف هذا الاتجاه. وعلى هذه الخطى سار الحاكم من خلال تفصيل ما تنتجه أراضيهم بتعديدها في ثمانين نخلة وتسعين زيتونة.... ليستدل على ضعف الفلاحة بقلّة منتجاتها. ومن تفصيل في الاقتصاد إلى تفصيل في الليل وكيفية انقضاءه وهذا في قوله:

فالنصر صبر على الليل والليل يا أمّتي

درجات

فمنه الطويل ومنه القصير ومنه الذي يستمر

ثمانين حولا

في هذه الأبيات تم وصف الليل في فلسطين غير قاصد به تلك الظاهرة الفيزيولوجية

الطبيعية، تلك الظلمة الحالكة أو السواد الشديد الذي يعتري المكان بمجرد زوال ضوء النهار بل المنحى الذي اتجه إليه يختلف كثيرا عن ليصف من خلاله الواقع المؤلم الذي يعيشه الشعب الفلسطيني كلما حلت هذه الظاهرة مفصلا إياها إلى عدة درجات، بدءا بالقصير ويكون كذلك إذا غابت الانفجارات أو الهجمات العدوانية، طويلا إذا حلت بهم هذه الأعمال الوحشية، ليسخر الحاكم من قدرهم المظلم والتعاسة التي حلت بهم ليستمر الليل ثمانين عاما من المعاناة، وما من حل أمام الليل إلا الصبر على آهاته.

***3-5 أسلوب القصر:** القصر لغة هو الحبس والإلزام، ولأسلوب القصر طرفان وله طرقه المختلفة التي يؤدي بها وكما له أقسامه باعتبار الحقيقة والإضافة وباعتبار حال المخاطب وباعتبار الطرفين. "في البلاغة العربية علم المعاني ص: 146". وقد ورد في قوله:

وما الحرب يا شعب "إلا" غرائز أولى، خلاف

صغير

على الأرض، وما الأرض إلا رمال على الرمل

هل دمكم أيها الناس أرخص من حفنة

الرمل

إن الاستدلال الاستثنائي يقتضي ذكر النتيجة أو نقيضها وفي التصريح بجميع مكوناته لا بد من حرف استثناء مثل "لكن" أو "إلا" حافظ اسماعيلي علوي الحجاج ج 4 ص: 142" وما هذا النمط من النصح والإرشاد إلا مراوغة في الكلام، لأن الحاكم في هذا المقام محتاج شديد الاحتياج إلى من يدعم أقواله ويثبت معانيها الداعية إلى الاستسلام، عن طريق المقارنة بين الوقائع من خلال طرح إشكال كبير حول أيهما أكثر قيمة؟ حياته أو أرضه، معبرا عن الأولى بالدم والثانية برمال لا تسحق التضحية بأعز ما يملكه الإنسان في سبيلها، فكان لأسلوب القصر دورا كبيرا في إبراز ضعف النخوة اتجاه البلد عند الحكام. ولم يمنع هذا الأسلوب في تجسيده لسياق التهديد الذي يظهر في قوله:

لن أمهلك

سوى ساعتين لتنسى الزمان الذي أهملك
و"إلا" سأعلن إضراب زوجاتكم في المضاجع
إما الصيام عن النوم ما بين أفخاذهن
وإما السلام

في هذه الأبيات استعمل الدكتور النساء كوسيلة لتخويف أفراد شعبه للتخلي عن كل ما في قلوبهم من حقد وغلو اتجاه العدو ونسيان الماضي، فلاءمت هذه الحجة وبشكل كبير شخصية الحاكم التي أراد محمود تصويرها، كما لاءمت وبصورة عميقة سياق التهديد الذي ورد فيه هذا المقطع، باختيار هذا النوع من الأدلة والبراهين واستعمال هذا النوع من الأساليب، ليضع بين أيديهم أمران يصعب الاختيار بينهما أو التخلي عن أحدهما تمثل الأول في المرأة، والثاني في الحرية.

***3-6 الأساليب البلاغية:** إن الوسائل البلاغية التي تحفل بها جل الأشعار تمثلا كـها عاملا مهما يرفد عملية الحجاج وينمي قدرة الشاعر على الإقناع. "الحجاج في الشعر القديم ص 121 فالأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية—كما هو مطلوب في سياق البلاغة— لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية—كما هو مطلوب في الحجاج— ومن هنا يتبين أن الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية "صابر حباشة التداولية والحجاج ص: 50".

3-6-1 التشبيه: هو صورة تقدم على تمثيل شيء حسي أو مجرد بشيء آخر حسي أو مجرد لاشتراكهما في صفة حسية أو مجردة أو أكثر "يوسف أبو العدوس التشبيه والاستعارة ص 70" ولأن التشبيه قائم على التبسيط والرسم، فإن اختصاصه الأكيد هو صدم الفكر الحي، وترك الفكر البطيء في حيرة من أمره، أو مدفوعا، قليلا، إلى التجريد. إن مطابقته تتعلق إذن بالفهم السهل لخصائص الشيء، القابلة للتبديل في شيء آخر، وتكون غالبا من المحسوس إلى مجرد بهدف التوضيح. حافظ اسماعيلي الحجاج الجزء 5: ص 132"

حيث قال المخاطب للتعبير عن القلق والحيرة التي رافقته دوما في مسألة التفكير حول كيفية صيانة أزواجهن من أيادي عشاقهن :

وفي أي بئر نخبى زوجاتنا...

وفي وسعهن إزالة آثارنا عن مواضع

أسرارهن

كما يطرد المرء عن راحتيه الذباب

فأبدع فيما صوره من خلال هذا الأسلوب البلاغي، إذ شبه نفسه وكل عاشق على حد سواء بالذباب الذي يحط على الجسد ليطرد براحة الكف فلا يبقى له أثر، هكذا تفعل المرأة مع لمسات أزواجهن فتمحيها من مواضعها بلمسات عشاقهن، وهذا التجسيد كاف للتدليل على ما ذهب إليه الدكاتو سابقا حول قدرة النساء على الغدر بأزواجهن، وقد استوفى هذا التشبيه لشروطه كاملة المشبه والمشبه به كما ذكرنا آنفا والأداة التشبيهية "كما" التي لعبت دورا في التفصيل بين الصورتين، ليزيد هذا الأسلوب للقصيدة من جمال المعنى وقوة الإقناع بما يجول في خاطر كل أنثى. ثم يواصل الشاعر حديثه عن هذه الخواطر في قوله:

ويلبسن في كل يوم قلبا جديد

كما يرتدين الثياب

في هذا المقطع أيضا استعمل نفس الأداة لتجسيد صورتين فنييتين تتمثل أولها وهي المشبه بالقلب والثانية وهي المشبه به في الثياب، ليكون وجه الشبه سهولة تبديلها وتغييرها لأن ارتداء وجه مغاير كل يوم أمام كل شخص ليس بالأمر العسير بالنسبة للمرأة. فعلى حد رأي المخاطب المرأة لا تملك من الأحاسيس ما يكفي ليضع الرجل الثقة فيها وكل ما تظهره من مشاعر مزيفة غير حقيقية تتغير بمجرد لمسة من شخص آخر لتتحول كل عواطفها اتجاهه ناسية تلك المكنة لزوجها.

3-6-2 الاستعارة: لقد احتلت الاستعارة في البلاغة المعاصرة مكان الصدارة لما تلعبه من أدوار في خطاباتنا اليومية والفنية على حد سواء، وذلك لطبيعتها المرنة بين قطبيها المذكور والآخر المغيب وأيضا لتموقعها على الأعراف بين جماليات كل من التشبيه في قربه والمجاز في رمزيته وتجريده وبنيته العقلية "الحجاج في البلاغة المعاصرة ص: 237"

ومن أمثلة ورودها في الخطاب قوله:

تعيثون والروح خاوية من عباءة من

تعبدوا

هذه الأبيات تبين لنا قدرة الاستعارة الشعرية على الفعل بجمالها والتأثير في المتلقي بسحرها وكيفية اقتران جمالها بقدرتها على الإقناع، إذ شبه الروح بالجسد ليحذف هذا الأخير ويترك شيئاً من لوازمه وهو العبادة، ليؤكد أنهم بحاجة إلى تغذية الروح كما يتغذى الجسم لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا على ما ستتغذى هذه الروح؟ لتكون الإجابة من عبادته وتلاوة أوامره وعدم التقصير في تنفيذ نوااميسه، بالوقوف عند مطالبه وتجنب مخالفة أوامره. كما استعمل هذا الأسلوب البلاغي في الحديث عن اللافتات والشعارات التي يندد من خلالها المواطنون بمطالبهم في قوله:

وربوا الشعارات وادخروها

وإن صدعت طوروها

وإن جاع أولادكم فاطبخوها

وفي عيد مايو كلوها

وصلوها واعبدوها

وإن مسكم مرض علقوها

لقد حمل هذا المقطع العديد من الصور الاستعارية، كان المشبه فيها شيئاً واحداً وهو "الشعارات" ليكون الطرف الثاني وهو المشبه به في الصورة الأولى أكل ومأوى، ليحذف ويترك أحداً من لوازمه وهو الطبخ، فيكون وجه الشبه بينهما قدرة الاثنين على سد الجوع. أما الصورة المحذوفة الثانية فتمثلت في الإله أو الرب لتكون الصلاة والعبادة لوازمها المذكورة لتمثل الصورة الثالثة في الدواء للشفاء من كل داء. كل هذه الصور وظفها درويش لمما حملته من قيمة حجاجية قادرة في التأثير في المتلقي حول هشاشة النظام الدكتاتوري وقتامة مصيره.

3-6-3 الكناية: وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى

"عبد العزيز في البلاغة العربية علم البيان ص: 203"

وقد عبر الإمام الجرجاني عن هذا المعنى الاصطلاحي بصورة أخرى فقال "الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلاً عليه".

"في البلغة العربية علم البيان ص: 211"

وعن أهم المقاطع التي وردت فيها قوله:

ولا تهجروهن فوق المخدة

فإن النساء على كل معصية قدرات

وإن النساء حبيباتنا منذ قديم الزمان

أول ما يجب أن نلاحظه في هذا المقطع أن الدكتاتور قد جعل من قدرة النساء على ارتكاب المعاصي دليل من الأدلة أو برهان من البراهين، التي يقدمها للاحتجاج على رفض معاشرتهم مكنى عن هذا المعنى بالهجر فوق المخدة، لتبدو العلاقة بين الخيانة والمرأة علاقة تماثل وتطابق لا تنتزع مهما حاول الرجل ذلك. فهذه الأبيات دعوة إلى الاستسلام والرضوخ لهن وعدم الاهتزاز لأفعالهن أو الاغترار بالزائل، والالتفات إلى ما فيهن من محاسن لا إلى عيوبهن التي تظل مرتبطة بهن كترابط الروح بالجسد. لكن إذا اقتضى الأمر التخيير بين معاشرة النساء أو الجرح للسلام، غلب هذا الأخير واحتل المركز الأول في تقدير الدكتاتور والذي يظهر في قوله:

وسأعلن إضراب زوجاتكم في

المضاجع

أما الصيام عن النوم ما بين أفخاذهن

وإما السلام

فمحمود في هذا المقطع صور لنا شخصية الدكتاتور الظالمة والجبارة التي اتخذت من الوسائل للأخلاقية طريقة لإحلال السلام بين البلدين، ليجسد درويش من خلال هذا المقطع الصورة اللإنسانية التي يتصف بها الحكام والأمراء، والتي تبرز من خلال تهديدهم بالتخلي عن معاشرة زوجاتهم إن رفضوا الجرح للسلام، مكنى عن هذا الفسق والمجون بلفظة "الصيام". وتظهر هذه الأنواع من الأساليب أيضاً في قوله:

ولكن هذا الذي لا يرى قد رأى واستجاب

فهل تغطي العواصف يوماً بشال

السحاب.. وماذا وراء الحجاب

هي كناية على استعصاء إخفاء ما تدبره النساء من وساخة الأفعال وقذارتها وعسر تقبلها من طرف الرجال أو التغاضي عنها مهما سترت المرأة نفسها بالحجاب، لأن هذا الأخير- الحجاب- ليس أهل تلجأ إليه المرأة للتستر على خيانتها. فهذا التركيب اللغوي ساعدا الشاعر كثيرا على إخراج المعاني في قالب كنائي ليؤتى في شكل حكمة أو قانون لا يتغير بتغير الزمان والمكان.

بعد دراسة الروابط الحجاجية و عوامل التسلسل اللغوي وجدت في النهاية ما يلي:

* أن الدراسة البنيوية للمحادثات والوحدات الصغرى بالنظر إلى غايتها أي مقصودها الحجاجي، تمنح التحليل الأدبي فائدة في تحليل موسع متجاوزة بذلك حدود الملفوظ فحسب فليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجية تندرج في الأقوال فتكيف تأويلها وفق غاية المتكلم.

* فنية الحجاج في دلالاته على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، كالعلاقة السببية والاستنتاجية التي وظفها درويش في خطبه.

* دور الحجاج على التأثير في الجمهور، لأن المعيار الأول الذي نقيس به خطابا ما هو نجاعته وتكون هذه النجاعة بحسب ملائمة للجمهور وحسب التقنيات المستعملة ومن أبرزها معرفة الأطروحات التي يسلم المستمع بها ودرجة القوة التي بها يعتنق الأطروحات فعرضت هذه الحجج باعتبارها مسلمات.

* التسلسل المنطقي بين أبيات المقاطع الخطابية، ودوره في تشكيل البنية اللغوية للخطاب واتساق النص وانسجام وحداته في سياق لا يمكن أن يقصي بيننا من أبيات.

* كفاءة المرسل التداولية في صنع الخطاب، وقدرته على المناورة في المعنى بمزاوجة الضربين الذي يسير فيهما الحجاج من إظهار وإضمار للمقاصد والنوايا، وعلى المرسل إليه أن يتحلى بنفس الكفاءة لتأويل الخطاب ولإدراك حججه.

* البعدان التأثيران اللذان اتسمت بهما الأدلة والبراهين التي وظفها المخاطب، ليتمثل البعد الأول في كونها حجج واهية بين الدكاتور وشعبه، فيما اتخذ البعد الثاني لنفسه مرمى آخر كحجج مقنعة بين محمود والقارئ أو السامع لخطابته.

* خلفية المرسل المعرفية التي ساعدت المرسل بدرجة كبيرة في اختيار الحجج الواهية ونسبها إلى الحكام والأمراء، لأن الجاهل بهذا النوع من المعارف ستقصر همته دون حاجته.

* أن السخرية سياق واقعي أثبتت مقدرتها على تجسيد الواقع ليحاجج المخاطب المرسل إليه ضمنه ويتوقع نتائج معينة، من خلال إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه.

المصادر

والمراجع

المصادر:

"العربية"

*1/ أوستين "نظرية الأفعال الكلامية" كيف ننجز الأشياء بالكلمات .ترجمة عبـد القادر قنيني. إفريقيا الشرق 1991.

*2/ الجاحظ "البيان والتبيين" تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي الطبعة الأولى الجزء الخامس 1965

*3/ جان سيرفوني "الملفوظية" ترجمة الدكتور قاسم منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998

*4/ الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد "دلائل الإعجاز" تصحيح وتعليق محمد بشيردار المعرفة -بيروت-(د.ت)

*5/ جيفري لينتشي "اللغة والمعنى والسياق" ترجمة عبد الله الحميدان منشورات العرب 1993

*6/ السكاكي أبو يعقوب "مفتاح العلوم" مكتبة البابي الحلبي- مصر- الطبعة الثانية 1990

*7/ ابن فارس "الصاحبي" تحقيق مصطفى الشويمخي مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت-لبنان 1963.

*8/ ابن منظور جمال الدين "لسان العرب" دار صادر بيروت لبنان "ط3" 2004

"الفرنسية"

*1/jeam Michèle « le gouroarde » la pragmatique 1994

*2/j/i/ Austin quand dire c'est faire (v-p) par gillelane le seile 1970

*3/maxidico « dictionnaire enajcopedique de la lange française »

Edition de la connaissance 1997

المراجع:

*1//حافظ اسماعيلي علوي:

"التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث إربد-الأردن الطبعة الأولى 2011

"الحجاج" الجزء الرابع "الحجاج والمراس" عالم الكتب الحديث إربد-الأردن 2010

"الحجاج" الجزء الخامس "نصوص مترجمة" عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2010

*2/سامية الدريدي:

"الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه
عالم الكتب الحديث إربد - الأردن 2010"دراسات في الحجاج" قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم الطبعة الأولى
2009/1430

*3/صابر الحباشنة

"الأسلوبية والتداولية" مداخل تحليل الخطاب عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2011

"التداولية والحجاج" مداخل ونصوص دمشق 2008

*4/طه عبد الرحمان:

"في أصول الحوار وتحديد علم الكلام" المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى
يناير 1987

"في اللسان والميزان المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى 1998

*5/عبد العزيز عتيق

"في البلاغة العربية" -علم البيان- دار النهضة العربية بيروت لبنان رقم الكتاب
1719

"في البلاغة العربية" -علم المعاني- دار النهضة العربية بيروت لبنان رقم الكتاب 1720

*6/ عبد الهادي بن ظافر الشهري "استراتيجيات تحليل الخطاب" -مقاربة لغوية تداولية- دار الكتاب الجديد المتحدة الطبعة الأولى، مارس 2004 إفرنجي

*7/ لطفى عبد البديع "التركيب اللغوي" -لبنان للنشرون- 1997

*8/ محمد سالم "الحجاج في البلاغة المعاصرة" بحث في بلاغة النقد المعاصر دار الكتاب الجديد المتحدة إفرنجي الطبعة الأولى حزيران/يونيو 2008

*9/ نعمان بوقرة

"مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري عالم الكتب

الحديث اربد-الأردن 2008

"اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة" ط:1. إربد-الأردن 2098.

*10/ نوارى سعودي أبو زيد "في تداولية الخطاب الإجماعي"-المبادئ والإجراء- ط:1. 2009 بيت الحكمة للنشر والتوزيع "العلمة الجزائر-

*11/ يوسف أبو العدوس "التشبيه والاستعارة" دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة -الطبعة الأولى 2007/1427 .

"الرسائل"

خليفة بوجادي "رسالة دكتوراه" خصائص التراكم اللغوية في بوابات النور"دراسة تداولية" للشاعر عبد القادر بن محمد قسنطينة 2005-2006

الفهرس

أ-ب-ج	المقدمة
4	المدخل
8	أولاً: العلاقة بين طرفي الخطاب
9	تمهيد
10	1/ الإستراتيجية التضامنية
11	1-1: الأدوات الغوية
12	*1-1-1 الإشارات
13	1-2-1 الأليات اللغوية
14	*1-2-1 المكاشفة
17	*2-2-1 الإعجاب
20	خلاصة الإستراتيجية
21	2/ الإستراتيجية التوجيهية
21	*1-2-1 الأمر
23	*2-2-1 النهي
25	*3-2-1 الاستفهام
26	*4-2-1 التحذير
27	*5-2-1 الإغراء
27	*6-2-1 النداء
28	*7-2-1 ذكر العواقب
28	*8-2-1 التوجيه المركب

29	خلاصة الإستراتيجية
30	3/الإستراتيجية التلميحية
30	*3-1 الملمحات
30	*3-2 التهكم
32	*3-3 الاستلزام النموذجي
34	خلاصة الإستراتيجية
35	ثانيا: الأفعال الكلامية
36	تمهيد
38	1/الإلزامية
42	2/الطلبية
47	3/الإيقاعية
51	4/التعبيرية
54	5/الإخبارية
56	خلاصة
57	ثالثا: الحجاج
58	تمهيد
59	1/:الأدوات اللغوية:
59	*1-1 كي
61	*1-2 لئلا
63	*1-3 لأن

65	*1-4 اللام
68	2/ ألفاظ التعليل
68	*1-2 المفعول لأجله
69	*2-2 عندئذ
70	3/ الآليات اللغوية
70	*1-3 التعارض
72	*2-3 التكرار
73	*3-3 التذكير
75	*4-3 التفصيل
76	*5-3 القصر
77	*6-3 الأساليب البلاغية
77	1-6-3 التشبيه
78	2-6-3 الاستعارة
79	3-6-3 الكناية
82	خلاصة الحجاج
83	المصادر والمراجع
87	الفهرس